



ملاحح نبوة الخليل عليه السلام بين سفر التكوين والقرآن الكريم

إعداد

أ.د.م. ناصر محمد السيد إسماعيل

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة - جامعة الأزهر



ملاحح نبوة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بين سفر التكوين والقرآن الكريم

ناصر محمد السيد إسماعيل

قسم الأديان والمذاهب - كلية الدعوة الإسلامية- جامعة الأزهر، القاهرة،
جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: nasermohamed0213@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث استقراء ملاحح الشخصية الرسولية للخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بين سفر التكوين والقرآن الكريم، فبينما تكاد تغيب شخصية الرسول، وشخصية الداعية في سفر التكوين، ويظهر الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في سفر التكوين كرجل طواف في الأرض يجمع المال من كل مكان، وقد يُعرض عرضه ونفسه للمهالك من أجل ذلك، وتكاد تختفي المواقف الدعوية التي يجب أن تبرز في شخصية النبي والرسول، في مقابل هذا، نقف على معالم الرسولية للخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في القرآن الكريم والسنة المطهرة تماما على الذي هو أحسن، ويظهر في شخصيته - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ما خصه الله تعالى به - وخص به أنبيائه- من خُلُق كريم، وما أجرى على أيديهم من معجزات، وما جاؤوا به من مضمون الدعوة إلى الله تعالى، والمشملة على العقيدة والشريعة، واضطلاعهم بمهمة الدعوة إلى الله تعالى على أتم وجه.

الكلمات المفتاحية: ملاحح، نبوة، الخليل، سفر، التكوين.





Features of the Messengership of Hebron (Al-Khalil) between Genesis and the Holy Qur'an

Nasser Mohamed El Sayed Ismail

-Department of Religions and Doctrines, Faculty of Islamic Call in
Cairo, Arab Republic of Egypt

E-mail: nasermohamed0213@azhar.edu.eg

Abstract:

This research deals with the induction of the features of the apostolic personality of Hebron (Al-Khalil) between the Book of Genesis and the Holy Qur'an, while the personality of the Messenger and the preacher's personality are almost absent in the Book of Genesis and Hebron (Al-Khalil) appears in the Book of Genesis as a man roaming the earth collecting money from everywhere, and may expose his honour and himself to perils for the sake of that and the advocacy situations that must emerge in the personality of the Prophet and the Messenger almost disappear, on contrary, we come to know the features of the Messengership of Hebron (Al-Khalil) in the Holy Qur'an and the purified Sunnah (the prophet's deeds) completely on the one who is better and it appears in his personality what God Almighty singled out for him - and He singled out his prophets with him. Of noble morality and the miracles that were performed at their hands and what they brought from the content of the call to God Almighty, that including the belief and Sharia (Islamic law) and their undertaking the mission of calling to God Almighty in the most complete manner.

Key words: features, prophecy, Hebron, Genesis.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدِمَةٌ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

كشف القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب كُتُبِهِمُ المقدسة، (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)^(١)، (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)^(٢)، وذلك "بالتغيير، والتبديل، وسوء التأويل"^(٣)، وإبطال "العمل بكلام ثابت في التوراة"^(٤) "حين حرفوا الرجم"^(٥) فجعلوه جلدًا"^(٦)، ومنع جدالهم إلا بالتي هي أحسن، (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)^(٧)، وهذا يفتح بابا من أبواب البحث، لكشف هذا التحريف، وبيان أشكاله، وآثاره السلبية على الأفراد والمجتمعات، لإنصاف وحي الله تعالى، وتطهيره من تجني الأيدي البشرية الأثمة، في ضوء كلمة الله الأخيرة للبشرية.

(١) سورة النساء: ٤٦.

(٢) سورة المائدة: ٤١.

(٣) النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن محمد ٢١/٢، تحقيق: السيد عبد المقصود، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

(٤) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن عاشور، ٢٠٠/٦، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

(٥) عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَأَمْرًا زَيْنًا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ فَقَالُوا: نَفْضُحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَجِمَا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَرَأْتُ الرَّجُلَ يَجْتَنُّ عَلَى الْمَرْأَةِ يَمِينًا الْحِجَارَةَ. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، حديث رقم ٣٦٣٥.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، ٤٢١/٨، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٧) سورة العنكبوت: ٤٦.

الباقية على أصولها كما نزلت من عند الله تعالى، والأصل في هذا المعنى قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) ^(١)، أي: يصدق الحق الباقي فيها، "ومبينا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل" ^(٢).

والمأمل في هذا الإطار البحثي، يقف على قواعد يستطيع من خلالها أن يفرق بين ما هو رباني، وما هو إنساني، فإن وحي الله تعالى يتنزه عن العنصرية والتعصب لأحد من خلق الله، وإنما يقرر المبادئ والأفكار، وبها يقضي، وعليها يُفصل، فكل طرح يتعصب لجنس أو لون؛ فهو من أهواء البشر وزيفهم.

ويتنزه وحي الله تعالى كذلك عن مصادمة الفطرة الإنسانية؛ فكل تشريع يصادم الفطرة، أو يفسدها، فليس من دين الله في شيء، (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) ^(٣)، (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ^(٤).

وكل ما لا طاقة للبشر به من التصورات والأعمال، فليست من دين الله تعالى، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإلا ما آتاها، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ^(٥)، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) ^(٦).

وكُلّ تقديس مسرف في حق أشخاص أو جماعات فهو خارج عن قانون الله، وليس من وحيه في شيء، (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) ^(٧).

وفي هذا الصدد، وفي ضوء ما تقدم يستعين الباحث ربه في عقد مقارنة بين ملامح نبوة سيدنا إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- خليل الله في سفر التكوين ونظيرتها في القرآن

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٢٦٨/٤، تحقيق: سامي سلامة، ط ٢، دار طيبة: السعودية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) سورة الملك: ١٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٦) سورة الطلاق: ٧.

(٧) سورة الكهف: ١١٠.



الكريم وسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ رجاء في إبراز صورة من صور أصالة القرآن الكريم وهيمنته على الكتب المحرفة في قصص الأنبياء، وفي مضامين الدعوة الإسلامية، ومناهجها ووسائلها وأساليبها.

أهمية الموضوع:

يكتسب البحث أهميته من شرف ما يتعلق به، وهو هنا التوراة والقرآن، فأما التوراة فوحي الله تعالى الذي أنزله هدى ونورا، نفيا للتهمة عنها بسبب ما أصابها من تحريف، وتصديقا للحق الباقي فيها، وأما القرآن، فنصرة لكتاب الله الذي تكفل بحفظه، وأبقاه نورا وهدى، وتجليه للصورة الحقة لخليل الرحمن سيدنا إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وإبراز ملاحم رسوليته، وشخصيته الدعوية الكاملة، وقد اكتفيت في العنوان بذكر القرآن الكريم - والسنة النبوية المطهرة منه، وتبع له، وتزيد عليه - إثارا للاختصار في العنوان.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث علمي أو رسالة علمية تتناول ملاحم نبوة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وشخصيته الدعوية مقارنة بين سفر التكوين والقرآن الكريم والسنة النبوية، وإنما وقفت على أعمال علمية تتماس مع موضوع البحث في بعض النقاط وتفارقه في أخرى، ومن الدراسات التي وقفت عليها:

١- دراسة بعنوان: "شخصية إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قراءة في المصادر اليهودية والدراسات الحديثة، للباحثة/ كريمة نور عيساوي. وهي دراسة من سبع صفحات، منشور في مجلة الإصلاح، سنة ٢٠٠٨م، وقد مست جانب التناقض في شخصية الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مسا خفيفا من خلال تعريضه زوجته مرتين للفتنة، ولكنها لم تتعرض لعرض وجهة النظر القرآنية والنبوية المصدقة من جانب، والمهيمنة من جانب آخر.

٢- دراسة بعنوان: "من خصائص ملة إبراهيم"، للباحث/ حسن آيت علجت، وهي دراسة من ثماني صفحات، تناولت آيات القرآن الكريم الواردة في شأن الخليل -

عَلَيْهِ السَّلَامُ-، لا سيما ما يخص جانبي التوحيد والمناظرة، وعلقت عليها تعليقا مختصرا.

٣- ملة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بين اليهودية والإسلام، دراسة مقارنة في أسفار العهد القديم والقرآن الكريم، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان في السودان، للباحث/ عيسى حسين عبد السيد، ويتميز بحثي عن هذه الدراسة بتخصسه في تناول ملامح نبوته -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مقارنة بنظائرها في سفر التكوين، وما ينفرد به سفر التكوين، وما ينفرد به القرآن الكريم والسنة النبوية في ذكر ملامح شخصيته ونبوته -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

تساؤلات الدراسة :

أهم تساؤلات الدراسة، ما يلي:

- ١- كيف كان ظهور الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في أحداث سفر التكوين، والقرآن الكريم والسنة النبوية؟
- ٢- أثبت سفر التكوين وكذلك السنة النبوية المطهرة رحلة الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلى مصر، فما الفرق بين القصتين، وما أثار هذا الفرق؟
- ٣- ما أهم ما انفرد به الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في سفر التكوين، وما أهم ما انفرد به في القرآن الكريم والسنة النبوية؟
- ٤- ذُكرت قصة الذبيح في سفر التكوين والقرآن الكريم والسنة النبوية، فهل هناك فرق بين إيراد القصة في كُلِّ؟

مشكلة البحث :

إبراز ملامح شخصية الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من خلال المقارنة بين ملامحها في سفر التكوين وما يناظرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

منهج البحث :

استعنت -بعد الاستعانة بالله تعالى- في بحثي بمنهج البحث التالية:



١- المنهج الاستقرائي: وهو عند الإمام الغزالي "أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلية تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به"^(١)، ففي الاستقراء "يبدأ الباحث بملاحظة الجزئيات، ومن ثم يُصدر نتيجة عامة... وهو إما تام يحصر جميع الحالات الجزئية التي تقع في إطار ظاهرة أو فئة معينة... أو يكتفي بدراسة عينة بهدف الكشف عن القوانين التي تخضع لها جميع الحالات المتشابهة التي لم تدخل تحت الدراسة"^(٢).

وصورة هذا هنا أنني أتبع النصوص المتصلة بالخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، والمنثورة في سفر التكوين، والقرآن العظيم، والسنة النبوة، للوصول منها إلى ملاحم عامة لشخصية الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - النبوية والدعوية.

٢- المنهج المقارن: وهو "التمييز أو وصف الخصائص والصفات المشتركة أو المختلفة لشيئين، أو أكثر، أي: هي تقصي نقاط التشابه والاختلاف"^(٣).

وتبرز في هذه الدراسة من خلال الإشارة إلى ما اتفق عليه كل من سفر التكوين والقرآن الكريم في إبراز النبوة والشخصية الدعوية للخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وكذلك الفروق بينهما في ذلك.

٣- المنهج النقدي: واستخدمت هنا النقد الداخلي أو الباطن^(٤)، "ويقصد به بيان ما قصده صاحب الوثيقة، ثم معرفة صدقه في الرواية"^(٥)، وعرضها على معطيات

(١) معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ١٦٠، تحقيق:

سليمان دنيا، دط، دار المعارف: القاهرة، ١٩٦١م.

(٢) البحث العلمي مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، ص ٤٠، ٤١، دط، مطبعة خالد حسن

الطرابيشي: دمشق، ١٣٩٥، ١٩٧٥م.

(٣) مناهج البحث في العلوم السياسية، محمد محمود ربيع، ص ٢٥٥، ٢، مكتبة الفلاح: الكويت،

١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٤) أما النقد الخارجي بشقيه: نقد الاستعادة، بمعنى البحث في صحة الوثائق، ونقد المصدر، بمعنى

صلة المصدر بالحدث، فلم أتعرض له هنا. ينظر: مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ١٨٨،

١٩٤، ط ٣، وكالة المطبوعات: الكويت، ١٩٧٧م.

(٥) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص ٢٠٥.



الوثيقة نفسها المرتبطة بنفس الموضوع، وكذلك على موازين العقل وموازن الإنسانية الرشيدة، استئناسا.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وسبعة مباحث، وبيانها كما يلي:

المبحث الأول: ظهور الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وعهد الله له بين سفر التكوين والقرآن الكريم.

المبحث الثاني: نزول إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرض مصر بين سفر التكوين والسنة النبوية.

المبحث الثالث: أهم ما انفرد به سفر التكوين عن القرآن الكريم.

المبحث الرابع: وعد الله تعالى لأبرام بالذرية.

المبحث الخامس: نزول الله والملائكة عند إهلاك قرى قوم لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

المبحث السادس: قصة الذبيح بين سفر التكوين والقرآن الكريم.

المبحث السابع: أهم ما انفردت به نبوة الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في القرآن الكريم والسنة.

فأسأل الله تعالى أن يأخذ بيدي إليه أخذ الكرام عليه، وأن يعين على إتمام هذا العمل على الوجه الذي يكون به من صالحات الأعمال وخالصات الآثار، ووفقنا اللهم وأعنا، وسددنا، واهدنا إلى ما يرضيك.





المبحث الأول

ظهور الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

وعهد الله له بين سفر التكوين والقرآن الكريم

يختلف ظهور الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في أحداث سفر التكوين عن نظيره في القرآن الكريم، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

المطلب الأول

ظهور الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في أحداث سفر التكوين والقرآن الكريم

أولاً: ظهور الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في أحداث سفر التكوين؛

يظهر الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في أحداث العهد القديم باسم "أبرام"^(١) ابناً لتارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وقد هَمَّ أبوه تارح بالانتقال معه ومع لوط بن هاران بن تارح، وساراي زوجة إبراهيم من أور^(٢) الكلدانيين^(٣)

(١) أبرام: معناها: الأب الرفيع، أو الأب المُكْرَم. ومعنى إبراهيم: أبو رهام، أي أبو جمهور. قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة، ص ٩، ط ١٠، دار الثقافة: القاهرة، ١٩٩٥ م.

(٢) كلمة "أور" تعني: لهب. دائرة المعارف الكتابية، صموئيل حبيب وآخرون ١/٥٠٧، دط، دار الثقافة: القاهرة، دت. والحروف الثلاثة "أور" في اللغة العربية تعني: الحر، والأوار: حر الشمس، وحر التنور. مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، ١/١٥٥، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م. وأشار الدكتور المسييري إلى أن "أور" بمعنى موضع أو مدينة. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ١٠/٣٢٤.

(٣) نسبة إلى "كلدانيا منطقة من مناطق بلاد بابل القديمة، تقع حالياً في جنوب شرق العراق، تمكّن الكلدانيون من تطوير حضارة عظيمة في تلك البلاد، والكلدانيون ساميون، وكانوا يتكلمون عدداً من اللغات القريبة من الآرامية. وقد هاجر الكلدانيون إلى بلاد بابل في الغرب فيما بين أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد و٨٧٥ ق. م. حكم الملوك الكلدانيون بلاد بابل في أحقاب مختلفة، خلال القرن السابع قبل الميلاد. الموسوعة العربية العالمية، ١٧/٢٠، ط ٢، مؤسسة أعمال الموسوعة: الرياض، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.

إلى أرض كنعان^(١) ولكنه مات في حاران^(٢).

هذا الظهور الخافت، الخالي من معالم التميز، وقد يقول قائل: أوليس كلام الله إليه دليلاً على تميزه؟ والحق أن الله في الكتاب المقدس يُكلم كل الناس، يكلم الملوك، كما كلم داود -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وهو عندهم ملك وليس نبياً، جاء في أخبار الأيام الأولى: "وَدَعَا سُلَيْمَانَ ابْنَهُ وَأَوْصَاهُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ: «يَا ابْنِي، قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي. فَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ قَائِلًا: قَدْ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرًا وَعَمَلْتَ حُرُوبًا عَظِيمَةً، فَلَا تَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِي لِأَنَّكَ سَفَكْتَ دِمَاءً كَثِيرَةً عَلَى الْأَرْضِ أَمَامِي"^(٣).

وكلم أبيمالك^(٤) ملك فلسطين في الرؤيا^(٥)، وكلم "جاد رائِي"^(٦)، "فَكَلَّمَ الرَّبُّ جَادَ رَائِي دَاوُدَ وَقَالَ: اذْهَبْ وَكَلِّمْ دَاوُدَ قَائِلًا: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلَاثَةٌ أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِدًا مِنْهَا فَأَفْعَلَهُ بِكَ"^(٧)، فلا خصوصية لكلام الرب لإبراهيم؛ فالرب يكلم الجميع في الكتاب المقدس، وهذه مسألة تستحق الدراسة والنظر.

(١) الكنعانيون: قوم من العرب نزحوا إلى فلسطين من شبه الجزيرة العربية إثر الجفاف، حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م. الموسوعة العربية العالمية، ١٠٥/٢٠. وتدل النصوص المتفق عليها عند اليهود والنصارى والمسلمين أن الكنعانيين أسبق في المعيشة وحكم فلسطين من إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

(٢) حاران: اسم ربما كان من أصل أكادي معناه طريق أو قافلة. وهي مدينة بين النهرين على نهر بليخ وهو فرع للفرات، وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق. قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٨١. وسماها الحموي في معجمه "حاران" معجم البلدان، الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي ٢٣٦/٢، ط ٢، دار صادر: بيروت، ١٩٩٥ م.

(٣) أخبار الأيام الأول ٢٢: ٦: ٨.

(٤) اسم عبري، ومعناه "أبو ملك" أو "الأب ملك" وقد ورد اسماً لملك في فلسطين، عاش في عصر إبراهيم، وقد جاء إبراهيم إلى بلاده، ومعه سارة زوجته، ولكنه قال عنها إنها أخته. قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣.

(٥) سفر التكوين: ٢٠: ١: ١٤.

(٦) جاد، رائِي أو نبي، وهو صديق لداوود. قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٤١.

(٧) أخبار الأيام الأول: ٢١: ٩، ١٠.



ويظهر سيدنا إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كما سيأتي - في أحداث الكتاب المقدس أشبه ما يكون بإنسان مؤيد من الله في معاشه، مبارك في سعيه الدنيوي، تُوهب له ولنسله الأرض، ولا يظهر رسولاً مكلفاً بتبليغ رسالة الله، أو بهداية الناس إلى الله تعالى.

ثانياً: ظهور الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في أحداث القرآن الكريم:

يظهر - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كما حكى القرآن الكريم (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)^(١).

ويظهر هنا الاضطفاء والاجتباء الإلهي لإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نبياً ورسولاً وإماماً، ومن ناحية أخرى يضطلع بشرف خدمة الدين، والجهاد في سبيله، وتحمل أمانته، وتوريثه للذرية، فالدين أولاً، والدين آخراً، له يحيا، وعليه يموت، وفي سبيله بذل الغالي والنفيس.

"لقد ابتلى الحق خليله - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بما فرض عليه وشرع له، فقام بشرط وجوبها، ووفى بحكم مقتضاها، فأثنى عليه سبحانه بقوله: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) أي لم يقصر بوجه البتة. يقال حمّله أعباء النبوة، وطالبه بأحكام الخلّة، وأشدُّ بلاءً له كان قيامه بشرائط الخلّة، والانفراد له بالتجافي عن كل واحد، وكل شيء، فقام بتصحيح ذلك متخلياً عن جميع ما سواه، سرّاً وعلناً"^(٢).

ويظهر بوضوح تعظيم ملة إبراهيم، والدعوة إليهما، والإزراء على من رغب عنها، قال تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

(١) سورة البقرة: ١٢٤: ١٢٦.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن، ١/١٢٠، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.



وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(١).

وفيه إشارة إلى الذين "ابتدعوا اليهودية والنصرانية، وليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم: الإسلام"^(٢)، وقال تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(٣)، فهم ليسوا منه في الدين، وإن كانوا منه نسبا ودما.



(١) سورة البقرة: ١٣٠، ١٣١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، ٥٧٩/٢.

(٣) سورة آل عمران: ٦٧.



المطلب الثاني

وعد الله لإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بين سفر التكوين والقرآن الكريم

بعد أن انتقل أبرام من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان، تَلَقَّى عندئذ وعد الله القائل: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك؛ فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض"^(١).

وجاء أيضا: "وظهر الرب لأبرام، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبني هناك مذبحا للرب الذي ظهر له"^(٢).

"وكانت المذابح تستخدم في العبادة في كثير من الديانات، ولكن المذابح كانت لـ"شعب الله" أكثر من مجرد أماكن لتقديم الذبائح، فقد كانت رمزا إلى الشركة مع الله، وتخليدا لمقابلة معه، وكانت تُبنى من حجارة غير منحوتة وطين، وكانت تظل قائمة بضع سنوات تذكارا لحماية الله ووعوده"^(٣).

فوعَدُ الله -حسب التوراة- لمن ينتمي إلى أبرام نسبا، على أي حال كانوا، ولذلك صح عندهم أن يحصل "يعقوب" على بُكورية^(٤) "عيسو" بالحيلولة والخداع^(٥).

وأما القرآن العظيم فإنه يُصحح هذا المفهوم، حيث يقول الله تعالى (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، فـ"عن أبي العالية،

(١) التكوين ١٢-١:٣.

(٢) سفر التكوين ١٢-٧.

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، بروس بارتون وآخرون ص ٣٤، دط، شركة ماستر ميديا: المعادي مصر، دت.

(٤) البُكورية: للبكورية عند اليهود امتيازات، يمتاز بها البكر عن غيره من إخوته، منها نيابة البكر عن أبيه في البيت حين غيابه، ومنها اختصاصه بالبركة على شرط أن يكون مستحقا لها، وإلا فتُعطى لغيره، ومنها أنه يُعطى نصيبا واحدا زائدا عن إخوته، وأهمها وأعظمها اعتبار أن البكر كان مكرسا للرب... ويلقبون كل ما كان كبير الأهمية بـ"البكر" قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٧.

(٥) سفر التكوين ٢٧-١:٣٦.

قال إبراهيم: يا رب (ومن ذريتي) يقول اجعل من ذريتي من يؤتم به ويُقتدى به، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق"^(١).

فبين سبحانه أن عهد النبوة والرسالة، وحفظ الدين وتبليغه لا يناله إلا من يملك مؤهلاته، وأنه لا يُنال بالنسب ورابطة الدم.

وظن الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أن هذا الأمر ينسحب على الرزق الدنيوي فقال: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ؛ فاحتاط في طلبه، حيث طلب الرزق لمن آمن من ذريته بالله واليوم الآخر، فقال تعالى: "(وَمَنْ كَفَرَ) فإني أرزقُ البر والفاجر"^(٢).

قال صاحب التحرير: "ولعله استشعر من رَدِّ اللَّهِ عليه عمومَ دعائه السابق إذ قال: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) فقال: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، أن غير المؤمنين ليسوا أهلاً لإجراء رزق الله عليهم وقد أعقب الله دعوته بقوله: (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا)"^(٣).

"قال ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله: ومن كفر أيضا أرزقهم، كما أرزق المؤمنين، أأخلق خلقا لا أرزقهم؟!... ثم قرأ ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: (كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)"^(٤)، ^(٥).

والقرآن الكريم يوضح أن الأهلية هي أهلية الدين؛ فنفي الأهلية عن ابن سيدنا نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فقال عز من قائل: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ٢٢٩/١، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ٤٢٦/١.

(٣) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن عاشور، ٧١٦/١، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.

(٤) سورة الإسراء: ٢٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤٢٦/١.



صَالِحٍ^(١)، "كأنه لفساده واجتنابه للصلاح والتزامه العمل غير الصالح"^(٢) استحق الإبعاد والطرده، أي "إنه ليس من أهل دينك"^(٣).

وفي الصحيح عن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جهارا غير سر يقول: "إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله، وصالح المؤمنين"^(٤).

والمعنى: "إنما ولي من كان صالحا وإن بَعُدَ نَسْبُهُ مِنِّي، وليس ولي مَنْ كَانَ غير صالح، وإن كَانَ نَسْبُهُ قَرِيبًا"^(٥)، "فأوجب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- الولاية بالدين، ونفاها عن أهل رحمه، إن لم يكونوا من أهل دينه"^(٦).

وهكذا يرفع الإسلام موازين الحق والعدل، والمنطق، في مواجهة العنصرية الكاذبة الخاطئة، التي تحذو حذو إبليس في الاستعلاء بالعنصر، متشبعين بما لم يُعْطَوْهُ، بل هم أبعد الناس عنه.

وراثة الأرض في المنظر اليهودي:

يحدثنا سفر التكوين عن أصل استحقاق اليهود لوراثة أرض فلسطين، فيقول: "فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة

(١) سورة هود: ٤٦

(٢) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا (٧٠/١٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل ٥٦/٣، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط ١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٤) مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل ٣٤٠/٢٩، حديث رقم ١٧٨٠٤، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرين، ط ١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف ٨٨/٣، ط ٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

(٦) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك ٢٠٦/٩، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط ٢، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.



لما خرج من حاران^(١)، فأخذ أبرام ساراي امرأته، ولوطا ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلکا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان. واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم^(٢)، إلى بلوطة مورة^(٣)، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لأبرام، وقال: "لنسلك أعطي هذه الأرض". فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل^(٤) ونصب خيمته، وله بيت إيل من المغرب وعاي^(٥) من المشرق، فبنى هناك مذبحا للرب ودعا

(١) حاران: اسم ربما كان من أصل أكادي معناه: طريق، قافلة، وهو اسم مدينة بين النهرين، على نهر بليخ، وهو فرع للفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلا إلى الشمال الشرقي من دمشق، وكانت مركزا تجاريا، لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط. وقد اتخذت إله القمر إليها لها، وتغرب فيها تارح وإبراهيم مدة من الزمن، ومات فيها تارح (حسب العهد القديم). قاموس الكتاب المقدس، ٢٨٢.

(٢) شكيم [الاسم القديم لمدينة نابلس]: مدينة تقع في وسط أرض فلسطين، في نصيب سبط أفرايم بالقرب من حدوده مع سبط منسى، على مفترق عدة طرق هامة، وعلى مدخل الوادي الواقع بين جبل عيبال في الشمال، وجبل جرزيم [جبل الطور أو جبل البركة] في الجنوب، وكانت تقع على الكتف الجنوبي الشرقي من جبل عيبال [الجبل الشمالي أو أعلى قمة في سلسلة جبال نابلس]، ومن هنا جاء اسم "شكيم" أي الكتف، وكانت على بُعد ٣١ ميلا شمالي أورشليم [القدس]، وثمانية أميال إلى الجنوب الشرقي من السامرة. دائرة المعارف الكتابية، ٥٣٨/٤. ويلاحظ هنا هذا التزوير الفاضح، وسرقة التاريخ جهارا نهارا دون حياء؛ فدائرة المعارف الكتابية تترجم لمدينة سبقت وجود الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بواقعها الاحتلالي في العصر الحديث.

(٣) بلوطة مورة: البلوط: شجر السنديان البرتغالي، ورقه يسقط شتاء، وتبلغ شجرته خمسة عشر مترا، ومورة: اسم كنعاني معناه "المعلم"، وبلوطة مورة بالقرب من شكيم، ومن جبال عيبال وجرزيم. يُنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٨٨، ٩٣٠، وينظر: دائرة المعارف الكتابية، ١٩٣/٢.

(٤) بيت إيل: اسم عبري معناه "بيت الله"، مدينة كنعانية، أما موقع المدينة فإلى شرقي خط يمتد من أورشليم [القدس] إلى نابلس على بعد واحد من كلتا المدينتين، وكانت محل إقامة ملوك الكنعانيين، وهي غربي مدينة أريحا بالقرب من رام الله. قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٠. وينظر: تاريخ اليهود، أحمد عثمان، ٢٠/١، دط، مكتبة الشروق: القاهرة، دت.

(٥) عاي: اسم عبري معناه خراب، وهي بلدة كنعانية إلى الشرق من بيت إيل... وتعرف اليوم باسم التل. قاموس الكتاب المقدس، ٥٩١.



باسم الرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب" (١).

إن الكتاب المقدس من خلال هذا النص يثبت حقيقة تاريخية واضحة وهي أن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- جاء ضيفا على هذه الأرض، وهي قائمة عامرة، وإذا كان الله تعالى قد منحها لإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وذريته، فإن التاريخ يشهد أن العرب الكنعانيين هم أقدم من سكن هذه المنطقة، وأكثر الشعوب إقامة فيها، والتاريخ والشرائع -حتى المحرفة- تشهد أن لإسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وذريته حق بموجب هذا العهد الذي سجله الكتاب المقدس، ولكن "حدث نوعان من التغيرات في الوعد:

الأول: كبرت الأرض الموعودة فجأة فأصبحت تشمل كل أرض كنعان، ثم اتسعت حدودها لتشمل كل المنطقة التي من وادي العريش إلى النهر الكبير، نهر الفرات.

ثانيا: تم استبعاد نسل إبراهيم من ميراث الوعد، وحل محله نسل سارة "عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة"، وإذا كانوا قد زعموا حرمان إسماعيل لأنه ابن جارية، فلماذا حرّموا أبناء إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من قطورة، وهي ليست جارية؟! ولماذا أدرجوا أبناء إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من جاريته "ليئة و" راحيل"؟! بل لماذا حرّم عيسو بن إسحاق -وهو شقيق يعقوب- من ميراث إبراهيم وعهده؟! (٢).

ليس الأمر إلا عنصرية مقبولة، وعصبية بغيضة، وسرقة على أعين الناس، كما يفعلون منذ اغتصبوا أرض فلسطين تحت رعاية الاحتلال البريطاني الغاشم، ومعونة القوى الدولية الأثمة، حيث يغيرون أسماء المدن والقرى، ويسرقون الآثار، وينقلونها إلى متاحف صهيونية، فبعد حرب "١٩٦٧م بسطوا سيطرتهم على المتحف الفلسطيني ومحتوياته الأثرية، وتم إلحاقه بدائرة الآثار الإسرائيلية... وبسطوا سيطرتهم على قلعة القدس، وفيها بقايا أثرية من الفترات التاريخية: هيروديانية (٣)، وهيلينية (٤)، وإسلامية

(١) سفر التكوين: ٤: ٩.

(٢) يُنظر: تاريخ اليهود، أحمد عثمان، ص ٢٠: ٢٣.

(٣) نسبة إلى عائلة كانت تحكم فلسطين خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وحتى المائة عام الأولى بعد ميلاد المسيح، عندما كانت فلسطين جزءًا من الإمبراطورية الرومانية. الموسوعة العربية العالمية، ٢٦/٣٢١.

(٤) نسبة إلى فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة في



وأموية وأيوبية ومملوكية وعثمانية، وحولها الاحتلال إلى متحف أسماه "متحف قلعة داود لتاريخ القدس، وفيه يتم تقديم تاريخ المدينة المقدسة للزوار بمنظور إسرائيلي، ومن صور التزييف والتزوير نسبتهم مسجد بلال -وهو بناء ديني مملوكي عثماني يقع بين القدس والخليل- إلى راحيل زوجة يعقوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ومحاولة ضمه مع الحرم الإبراهيمي في الخليل كجزء من التراث القومي اليهودي، غير أن منظمة "اليونسكو" أصدرت قرارا سنة ٢٠١٠م أكدت فيه أن الحرم القدسي الشريف والحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل، ومسجد بلال بن رباح في بيت لحم هي أماكن إسلامية، وجزء من التراث الإسلامي في فلسطين"^(١).

وراثة الأرض في المنظور الإسلامي؛

إن القرآن الكريم يعارض معيار اليهود لتوريث الأرض، يقول تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)^(٢).

والمعنى: "إن الأرض لله، لعل الله أن يورثكم؛ إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد"^(٣)، فهو عهد مشروط، وليس عهدا لفرع في أسرة بوراثة قطعة من الأرض، صلحوا أو فسدوا.

لقد جعل الله تعالى وراثه الأرض ومنح السلطة الزمنية فيها قائما على موازين

ذلك الحين. وقد بدأت بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م، واستمرت حوالي ٢٠٠ سنة في اليونان وحوالي ٣٠٠ سنة في الشرق الأوسط. الموسوعة العربية العالمية، ٢٨٢/١٦.

(١) يُنظر: السياسة الإسرائيلية تجاه المواقع الأثرية التاريخية الفلسطينية، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا) https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=٨٦٠٩، ويُنظر: الآثار في فلسطين بين السرقة والتدمير، إيهاب عقاب، صوفيا دعبيس، ديانا النصر، موقع وزارة الخارجية والمغتربين الفلسطينية. <http://www.mofa.pna.ps/es-es/mediaoffice/politicalstatement/>

(٢) سورة الأعراف: ١٢٨، ١٢٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، ٣٧١/١٠.



العقل والمنطق، فيقرر أولاً أن الأرض لخالقها، لله تعالى: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^(١)، ثم يقرر أن الله تعالى يمنح السلطة الزمنية في كونه للأقدر على الإصلاح والتعمير

فإن كان مؤمناً حقاً؛ فإن مدد الله له بغير حساب، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(٢)، والخلافة الإسلامية التي امتدت طويلاً وعرضاً في الزمان والمكان خير شاهد على هذا.

وإلا فإن الله تعالى يمنحها للأقدر على تحقيق الإصلاح الدنيوي في الأرض بصرف النظر عن دينه.

تلك سنة الله التي يشهد لها الشرع والتاريخ والواقع، يشهدون أن مَنْ يحمل مؤهلات الإصلاح في الأرض، أفراداً أو جماعات، يُمَكِّنُونَ، ويدوم تمكين الله لهم ما داموا يسعون في الأرض تعميراً، ويبنون أكثر مما يهدمون، مع عدم وجود الأفضل منهم تعميراً وبناءً، حتى إذا دالت عليهم أنفسهم، وكان فسادهم أكثر من إصلاحهم، وتخريبهم فوق ما يبنون؛ نزع الله ملكة منهم، وقلدهم سواهم، ممن يحملون مؤهلات تولي السلطة الزمنية في الأرض، وفق سنة الله التي لا تتبدل.

لقد أسس النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لقيام دولة، في ثلاثة وعشرين عاماً، في قلب عالم غارق في حكم امبراطوريات قاهرة، فلم تستطع أن تطفئ نور الله، أو تكسر شوكته، واستمر المد الإسلامي في الأرض قوة عظمى، إن انحسر هنا امتد هناك، حتى فقد المسلمون مؤهلات القيادة؛ فنزعها الله منهم، وتسلبت عليهم عدوهم، بتفريطهم، ولن يعودوا إلا بالأخذ بسنن الله في التمكين، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

(١) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٢) سورة النور: ٥٥.

المبحث الثاني

نزل إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أرض مصر بين سفر التكوين والسنة النبوية

المطلب الأول

قصة نزول إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أرض مصر في سفر التكوين

جاء في سفر التكوين: (وَحَدَّثَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ، فَأَنْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لِأَنَّ الْجُوعَ فِي الْأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا. وَحَدَّثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ الْمُنْظَرِ. فَيَكُونُ إِذَا رَأَى الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونِي وَيَسْتَبْقُونَكَ. قُولِي إِنَّكَ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكَ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكَ». فَحَدَّثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهُمْ حَسَنَةٌ جِدًّا. وَرَأَاهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةَ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ، فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا، وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرْبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. فَدَعَا فِرْعَوْنَ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي، حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟ وَالْآنَ هُوَذَا امْرَأَتُكَ! خُذْهَا وَادْهَبْ». فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنَ رِجَالًا فَشَيَعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ»^(١).

والمتمأمل في نص القصة في العهد القديم يظهر له أن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قد توقع ما سيحدث لزوجته، من طمع رؤساء فرعون في سارة، واتفق معها على أن تدعي أنها أخته، وعلل هذا بخوفه من القتل، وليكون له خير بسببها، وتحيا نفسه من أجلها، وهو قول موهم - بلا شك - يتعدى حدود حفظ النفس إلى المتاجرة بالموقف لتحصيل مغنم مادي!

وهل يلام فرعون وحاشيته؟ اللهم لا، فإنهم علموا أنها أخته، وفرعون - حسب النص - أراد أن يتخذها زوجة له، وقد وجه فرعون - حسب النص - العتاب لأبرام؛ لأنه لم يصرح بأنها زوجته، وقد شيعوه وزوجته بغنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال.

(١) سفر التكوين ١٢ / ١٠ - ٢٠.



وقد اكتفى سعديا الفيومي بترجمة القصة إلى العربية دون أن يُعقب عليها^(١).

والبعض من مفسري الكتاب المقدس يعترفون بغرابة الموقف، ويحللونه تحليلاً تريبويا، فيقولون: "رغم أن إبرام قد أخطأ، ولكن الله ستر عليه، وأنقذه، وأعاد إليه ساراي، بل وأخجله بكثرة الهدايا من فرعون، بالإضافة إلى بركة الله أولاً إليه في غنمه، فصار غنيا جداً في الدواب التي يمتلكها، بل كان معه فضة وذهبٌ كثير، وذلك لأنه آمن بالله، وقبل ترك أهله وعشيرته، ليسكن في البرية"^(٢).

وتكتفي بعض ترجمات الكتاب المقدس بالعنونة للقصة بمثل "فرعون يأخذ ساراي" دون التعقيب عليها، على الرغم من قيامهم بالتعليق على غيرها من القصص^(٣).

والأعجب من هذا كله تعليق نسخة الكتاب المقدس الصادرة عن الرهبانية اليسوعية على هذه القصة، حيث جاء فيها: "هذه رواية يهوية... وغايتها الإشادة بجمال جده النسل، وبراعة إبراهيم، والحماية التي حصلها كلاهما عليها من الله، لهذه الرواية طابع خلقي غير مكتمل، والضمير لا يستنكر فيه كل كذب، وحياة الزوج تفضل في هذه الأخلاقية على شرف المرأة، فالبشرية، بهداية الله لم تَعِ الشريعة الخلقية إلا تدريجياً"^(٤).

فهل يُعقل أن يُنسب الحادث إلى الله "يهوه"؟ وهل يُقبل أن يُعَرِّض المرء نفسه

(١) تفسير التوراة بالعربية تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدسة ودوافعها، سعديا بن جاؤون بن يوسف القيومي، ص ١٠٥، ترجمة سعيد مطاوع، أحمد الجندي، ط ١، المركز القومي للترجمة: القاهرة، ٢٠١٥م.

(٢) الموسوعة الكنيسة لتفسير العهد القديم شرح لكل آية، مجموعة من كهنة وخدام الكنيسة، ١٠٨/١، كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية: مصر، ٢٠٠٦م.

(٣) يُنظر: الكتاب المقدس ترجمة العالم الجديد، ص ٢٣، ١٩٨٤م، ووتش تاور بايبل: بنسلفانيا، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠٠٤م.

(٤) نسخة الكتاب المقدس، الرهبانية اليسوعية، ص ٨٦، طبعة ١٩٨٩م، وقد صدرت هذه النسخة بقولهم إن العمل على هذه النسخة "سار على المبادئ الأدبية التالية: الأمانة للأصل العبري واليوناني، ولنص الترجمة القديمة قدر المُستطاع" ص ٧.



وزوجه للفتنة مرارا، ثم يُحمد على براعته في التخلص من الموقف!

إن محصلة القصة في سفر التكوين أن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عرض زوجته للفتنة،

لتحصيل مغنم مادي.

ومن النصوص التي يقف عندها المتأمل قول: "وكان أبرام غنيا جدا في المواشي

والفضة والذهب"^(١)، فهكذا يهتم سفر التكوين بحصر أملاك أبرام، ويهتم بذكر

الخلافاً بين رعاة أبرام ولوط، وغير ذلك من تأريخ لا علاقة له بالرسالة والدعوة وما

يتعلق بهما، في الوقت الذي يتجاهل فيه -بشكل عجيب- مضمون الرسالة التي جاء بها،

وملامح نبوته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-!



(١) سفر التكوين: ١٣، ٢.



المطلب الثاني

قصة نزول مصر في السنة

وردت قصة نزول الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إلى مصر في السنة النبوية الشريفة، ومع التشابه الجزئي بينها وبين القصة في سفر التكوين إلا أن هناك فروقا جوهرية، تمثل الفرق بين وحي الله المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبين التحريف، والتشويه لأنبياء الله تعالى ورسله، وفيما يلي النصوص الواردة في السنة في هذه القصة:

١- في الصحيح عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: "لم يكذب إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله - عَزَّ وَجَلَّ -، قوله إني سقيم. وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبه، فقال: إنكم لم تأتونني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأنته وهو قائم يصلي، فأوماً بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر". قال أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: تلك أمكم يا بني ماء السماء" (١).

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، حديث رقم (٣٣٥٨). وفي صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، حديث رقم (٢٣٧١). وعند مسلم زيادة قيام إبراهيم إلى الصلاة حين أخذت منها سارة، وتكرر محاولة الجبار مدّ يده إلى سارة ثلاث مرات. وفي سنن أبي داود، كتاب الطلاق - أبواب تفريع أبواب الطلاق، باب في الرجل يقول لامرأته: يا أختي، حديث رقم (٢٢١٢). وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (٢٢١٢).

٢- ومثله في المسند من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وزاد فيه: "... فلما دخلت إليه قام إليها"، قال: "فأقبلت توضأً، وتصلي، وتقول: اللهم إن كنت تعلم أنني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط على الكافر"، قال: "فغط حتى ركض برجله"، قال أبو الزناد: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: عن أبي هريرة، أنها قالت: "اللهم إنه إن يمت يقل هي قتلته"، قال: "فأرسل..."^(١).

٣- وكان إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من وقت ذهب بها إلى الملك قام يصلي لله -عَزَّوَجَلَّ- ويسأله أن يدفع عن أهله، وأن يرد بأس هذا الذي أراد أهله بسوء، وهكذا فعلت هي أيضا كلما أراد عدو الله أن ينال منها أمرا قامت إلى وضوئها وصلاتها، ودعت الله -عَزَّوَجَلَّ- بما تقدم من الدعاء العظيم؛ ولهذا قال تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة)، فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحيبيه وخليه إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-^(٢).

تحليل القصة كما في السنة الشريفة؛

١- يُفهم من الأحاديث السابقة أن الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وقع في مأزق مفاجئ، لم يكن يحتسب له، وهنا بدأ في دفع الضرر المتحقق، وهو قتله إن علموا أنه زوج هذه المرأة الجميلة، متيقنا أن الله الذي أرسله وأيده بوحيه، وجعل النار بردا وسلاما عليه، واتخذة خليلا، سيحفظه في عرضه، ولن يضيعه.

٢- حالة الضراعة من إبراهيم وسارة عليهما السلام، والمتمثلة في اعتكاف إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- للصلاة والدعاء من ساعة خرجت سارة إلى هذا الجبار، وفي استشفاع سارة -في دعائها لربها- بأنها آمنت بالله وبرسوله، وأحصنت فرجها إلا على زوجها، سائلة ربه ألا يسلط عليها هذا الكافر. تلك الحالة الغائبة تماما من المشهد التوراتي.

(١) مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ١٣١/١٥، حديث رقم ٩٢٤١، وقال محققو المسند: صحيح على شرط مسلم.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير ٣٥١/١، تحقيق: عبد المحسن التركي. ط ١، دار هجر: القاهرة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.



٣- لقد أيقن هذا الجبار أن سارة مصونة محفوظة، وأنها وزوجها عند الله بمكان، من أجل ذلك أخدمهم هاجر، وصرفهما مكرمين.

٤- الرواية الإسلامية في حبس الجبار في بدنه؛ فلم يستطع الوصول إلى السيدة سارة أو مسها هي الأقرب إلى المنطق والعقل، وأما أن الرب ضرب فرعون وبيته ضربات عظيمة، فبعيد عن المنطق، فلماذا يضرب الله فرعون، وقد أخذها -حسب الرواية التوراتية- ليتزوجها؟ ولماذا يضرب أهل بيته، ولا ذنب لهم؟!

والقصة كما وردت في السنة الشريفة تليق بمقام الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- نبيا ورسولا وخليلا.



المطلب الثالث

سارة وأبرام وأبيمالك

تتكرر حادثة تعريض أبرام زوجه ساراي للفتنة مرة أخرى، وإذا كانت الحاجة دعته إلى هذا في مصر، فما الداعي إليها مرة أخرى وقد سار ببقر وغنم وذهب وخير كثير!

جاء في سفر التكوين: "وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرب في جرار، وقال إبراهيم عن سارة امرأته: هي أختي، فأرسل أبيمالك ملك جرار، وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل، وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها، فإنها متزوجة ببعل، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها، فقال: يا سيد، أُمّة بارة تقتل؟ ألم يقل هو لي: إنها أختي، وهي أيضا نفسها قالت: هو أخي؟ بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا. فقال له الله في الحلم: أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا، وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطئ إليّ، لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد امرأة الرجل، فإنه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا، وإن كنت لست تردّها، فاعلم أنك موتا تموت، أنت وكل من لك. فبكر أبيمالك في الغد، ودعا جميع عبيده، وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم، فخاف الرجال جدا، ثم دعا أبيمالك إبراهيم، وقال له: ماذا فعلت بنا؟ وبماذا أخطأت إليك، حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية أعمال عظيمة؟ أعمالا لا تعمل عملت بي. وقال أبيمالك لإبراهيم: ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء؟ فقال إبراهيم: إني قلت: ليس في هذا الموضوع خوف الله البتة، فيقتلونني لأجل امرأتي، وبالحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أُمي، فصارت لي زوجة، وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أنني قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إليّ: في كل مكان تأتي إليه قولي عني: هو أخي، فأخذ أبيمالك غنما وبقرا وعبيدا وإماء وأعطاهم لإبراهيم، ورد إليه سارة امرأته"^(١).

يقول مفسرو الكتاب المقدس: "لقد استخدم إبراهيم نفس هذه الحيلة من قبل

(١) سفر التكوين: ٢٠: ١: ١٤.



لحماية نفسه وسارة، ومع أن إبراهيم هو أحد أبطال الإيمان، فإنه لم يتعلم الدرس جيدا من المرة الأولى، لقد خاطر باستسلامه للتجربة مرة أخرى، بتحويل تصرف شيرير إلى أسلوب شيرير في التصرف، وهو الكذب، عندما ظن أن حياته معرضة للخطر"^(١).

أو مثل هذا يُقال عن خليل الله، أبي الأنبياء؟! أهكذا يتصرف أنبياء الله ورسله، وصفوته من خلقه، والذي قال فيهم سبحانه (وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ)^(٢).

إنها الأيدي الآثمة، التي تجرأت على مقام النبوة من قبل. لماذا يقول عن سارة في كل مكان يذهبان إليه إنها أخته؟! لماذا لا يقول هي زوجتي؟! إلا إذا كان يتوقع طمعا فيها، ويخشى على نفسه من الطامع فيها، فهو يتاجر بزوجه للحصول على مغانم دنيوية أينما ذهب! وهذا أسوأ ما يمكن أن يتصوره عاقل عن إنسان عادي، فضلا عن أن يكون نبيا من أنبياء الله ورسله، بل خليل رب العالمين.

والرواية الإسلامية تنفي هذه المزاعم الآثمة، والتحريف الخبيث، كما سلف معنا.

وتبقى هنا مسألة تستحق النظر، هل سارة أخت إبراهيم لأبيه؟

لقد ذكر "غير واحد من السلف والخلف، أن الله تعالى قد شرع لآدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أن يُزوج بناته من بنيه لضرورة الحال"^(٣)، والآن بعد هذه الأماد المتطاولة، التي لا يعرف عدّها إلا الله، ما الضرورة لأن يتزوج الأخ من أخته، وقد بث الله تعالى رجالا كثيرا ونساء؟! وتذرع إبراهيم بأنها أخته إشارة واضحة إلى أنه لا يجوز في شرعهم أن يتزوج الأخ من أخته، وقد احتج فرعون عليه، وقال: "ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٥٣.

(٢) سورة ص ٤٥: ٤٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ٨٢/٣، تحقيق: سامي سلامة، ط ٢، دار طيبة:

السعودية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

أنها امرأتك؟ لماذا قلت: هي أختي، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟"^(١).

ولا توجد - فيما سوى تلك الحالة- نصوص في شريعة بني إسرائيل تدل على جواز زواج الأخ من أخته.

والسنة النبوية الشريفة تؤكد على هذا المعنى حيث استخدم الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- المعارض لتبرير ادعائه أنها أخته، حيث بين أنه يقصد أخوة الإسلام، ولو كانت أختا غير شقيقة لما احتاج إلى هذا. فقد جاء على لسانه في الصحيح: "فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك"^(٢). وفي السنن "قال: إن هذا سألني عنك فأنبأته أنك أختي، وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك، وإنك أختي في كتاب الله، فلا تكذبيني عنده"^(٣). وفي المسند "وقال لها: لا تكذبي قولي، فإني قد أخبرته أنك أختي، إن على الأرض مؤمن غيري وغيرك"^(٤).

فالمقصود أخوة الإسلام، ولكن "مؤلفي سفر التكوين"^(٥)، والمتجرئين على كلمة الله بالتحريف حذفوا وأضافوا وأخفوا كلام الله (وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)^(٦).



(١) سفر التكوين: ١٢: ١٨، ١٩.

(٢) صحيح مسلم، سبق تخريجه.

(٣) سنن أبي داود، سبق تخريجه.

(٤) مسند أحمد، سبق تخريجه.

(٥) هذا تعبير دائرة المعارف البريطانية، حيث ورد فيها "أن مؤلفي سفر التكوين -وهم كتبة عديدون- قد استقوا معلوماتهم عن أساطير الشرق القديمة" انظر: إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية، اللواء أحمد عبد الوهاب، ص ٧٩، ٨٠، ط ٣، دت، مكتبة وهبة: القاهرة، دت.

(٦) سورة آل عمران: ٧٨.



المطلب الرابع

جذب البعد الديني في الرواية التوراتية لقصة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

يظهر هذا جليا في اللمسات السريعة العجّلة الموجزة جدا، والتي تشير إلى البعد الديني، حيث أشار إلى عودة إبراهيم محملا بالخيرات من مصر، فيقول: "فصعد أبرام من مصر هو وامراته، وكل ما كان له، ولوط معه إلى الجنوب، وكان أبرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب، وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل، إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداية، بين بيت إيل وعاي، إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولا، ودعا هناك أبرام باسم الرب، ولوط السائر مع أبرام، كان له أيضا غنم وبقر وخيام، ولم تحتملها الأرض أن يسكننا معا؛ إذ كانت أملاكهما كثيرة، فلم يقدر أن يسكننا معا، فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط، وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض، فقال أبرام للوط، لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعاتي ورعاتك، لأننا نحن أخوان، أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني. إن ذهبت شمالا فأنا يميننا، وإن يميننا فأنا شمالا"^(١).

هل هذه التوراة التي أنزلها الله تعالى هدى ونورا؟! تأريخ لسفريات دنيوية بحتة، وجمع لأموال كثيرة، وخلافات بين رعاة، ثم تأتي الإشارة إلى دعاء إبراهيم عرضا، ووسط هذا الركام من المادية الثقيلة؟!

أين الدين الذي جاء به الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، أين عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، أين مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها؟! أين هذا مما جاء في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

أولا: قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةٍ

(١) سفر التكوين: ١٣: ٩.

إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(١).

إن الله تعالى يذكر العرب والأمة جميعا "بأن إبراهيم هو الذي بنى هذا البيت بمساعدة ابنه إسماعيل، وذكر لهم من دعائهما هنالك ما يرشدهم إلى العبادة الصحيحة والدين الحق، ويجذبهم إلى الاقتداء بذلك السلف الصالح الذي ينتمون إليه ويفاخرون به، فإن قريشا كانت تنتسب إلى إبراهيم وإسماعيل بحق وتدعي أنها على ملة إبراهيم، ولذلك كانت ترى أنها أهدى من الفرس والروم، وسائر العرب تبع لقريش"^(٢).

فهذا عمل الأنبياء، تأسيس قواعد الحق، وتعليم الناس أمر دينهم، ودلالتهم على صلاح الحال والمآل، وتفقد الأمة في أشرف ما خلقها الله تعالى له، والوصية بالدين الحق، والإيمان به، والعمل به، والعمل له، والموت في سبيله.

ثانيا: يقول تعالى: (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّسَاءَ الْأُخْرَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ)^(٣).

فأبقى الله تعالى لنا من أصول الهداية، ومحتوى الرسائل السابقة، ما يدل على مناهج ووسائل وأساليب المرسلين قبل نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الدعوة إلى الله تعالى.

ومثل هذا في سورة الأعلى، يقول عز من قائل: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ)^(٤).

(١) سورة البقرة: ١٢٧: ١٣٢.

(٢) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) لمحمد رشيد رضا، ١/٣٨٣.

(٣) سورة النجم ٣٦: ٥٤.

(٤) سورة الأعلى: ١٨.



عن عكرمة عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يقول: "إن هذه السورة "سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى"، وَقَوْلُهُ "وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى" إِلَى آخِرِهِ؛ مِنْ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (١)، وقيل من قوله تعالى "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى" إلى هذا الموضوع" (٢)، وقيل: "الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى في الصحف الأولى" (٣).

وعلى كل حال، فإن هذا هو المحتوى الشريف الذي يأتي به أنبياء الله، وتلك هي النبوة والرسالة، وتلك مهمة المرسلين، وليس الضرب في الأرض لاكتساب الأموال بوضع الأعراس على المحك.

ولن تجد مثل هذا في تأريخ سفر التكوين لأبي الأنبياء، وخليل الرحمن -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

محاولات مفسري سفر التكوين لحل إشكال الجفاف الدعوي؛

يظهر هذا جليا في قولهم: "انتقل أبرام بالإيمان من أور الكلدانيين إلى حاران، ومنها إلى كنعان، فقطع الله معه عهدا، وأخبره أنه سيكون مؤسساً لأمة عظيمة، وقال له أيضا: إنه لن يبارك هذه الأمة فحسب، بل ستبارك بها أمة العالم الأخرى، وكل ذلك من أجل أبرام، فأمة بني إسرائيل التي ستخرج من أبرام، ستكون شعبا يتبع الله، ويكون لها تأثيرها في الشعوب الذين تتصل بهم، ونحن أيضا علينا أن ننقل محبة الله لجميع الأمم، وليس لأمتنا فقط... وعندما نقرأ باقي سفر التكوين، نلاحظ كيف أن أفرادا، مثل عيسو ولابان ولوط، وأما مثل مصر قد تباركوا لاتصالهم بالنسل المباشر لأبرام، وعد الله أن يبارك أبرام ويجعله عظيما، ولكن على شرط واحد، وهو أن يفعل أبرام مشيئة الله، وكان هذا يعني أن يترك موطنه وأصدقاءه، وأن يرحل إلى بلاد جديدة، حيث وعد الله أن يجعل من عائلة أبرام أمة عظيمة، وأطاع أبرام وغادر بلاده لأجل وعد الله له

(١) تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، ص ٧٢٣، تحقيق: محمد أبو النيل، ط ١، دار الفكر الإسلامي الحديثة: مصر، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

(٢) معاني القرآن، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل ٣١٦/٥، تحقيق: عبد الجليل شلي، ط ١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٣) إعراب القرآن، النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل ١٢٩/٥، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ.

بأشياء أعظم في المستقبل، ولربما يحاول الله أن يقودك إلى مكان تكون فيه أكثر نفعاً، وأعظم خدمة له، فلا تدع راحتك وأمنك في مكانك الحالي، يجعلناك تخطئ خطة الله لك، خطط الله أن ينشئ أمة من أناس يدعوهم هو خاصته، فدعا أبرام من مدينة أور، المدينة التي لا تعرف الله، ولا تهتم إلا بالإنسان، إلى منطقة خصيبة، اسمها كنعان، حيث يمكن أن تنشأ أمة كريمة الأخلاق، وكل اهتمامها يكون بالله، ومع أن أرض كنعان صغيرة المساحة، ولكنها كانت النقطة المركزية في تاريخ إسرائيل، كما في تاريخ نشأة المسيحية، فهذه الأرض الصغيرة التي أعطيت لرجل واحد هو أبرام، كان لها تأثير ضخم على تاريخ العالم"^(١).

ويتساءل كل قارئ متدبر في قصة الخليل في سفر التكوين، أين نجد هذه المعاني التي أشار لها الكاتب، أين ملامح هجرة إبراهيم بالإيمان كما يزعم؟



(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٣٣.



المبحث الثالث

أهم ما انفرد به سفر التكوين عن القرآن الكريم

يعرض سفر التكوين جانباً من شخصية الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يُذكر في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، وهو الجانب العسكري^(١).

المطلب الأول

حرب الملوك وأسر لوط - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

حيث قام "كَدْرُ لَعُومِر"^(٢) وهو ملك عِيلَام^(٣) الذي قاد حلفاً من ملوك بلاد النهرين وشمال

سوريا... لإخماد حركة تمرد قام بها خمسة ملوك في مدن الدائرة عند الطرف الجنوبي للبحر الميت، كانوا مستعبدين له على مدى اثنتي عشرة سنة، وفي السنة الثالثة عشرة عصوا عليه، إذ يبدو أنهم امتنعوا عن إرسال الجزية له، التي كانت تتكون على الأرجح من القار والنحاس والملح، والتي كانت من أهم منتوجات المنطقة، وكانت لها أهميتها بالنسبة لبلاد النهرين... وقد استطاع "كدر لعومر وحلفاؤه هزيمة الملوك الخمسة، أخذوا جميع أملاك سدوم وعمورة، وأخذوا لوطاً ابن أخي أبرام وأملاكه، ومضوا"^(٤)، "وقد قام أبرام وهجم عليهم بالقرب من دمشق، وهزمهم بمعونة الله، واسترد لوطاً وعائلته وممتلكاتهم"^(٥).

(١) سفر التكوين ١٤: ١: ٢٤.

(٢) كَدْرُ لَعُومِر: اسم عيلامي معناه عبد الإله، ويظهر أنه كان متسلطاً على بابل، وقد تحالف في أيام إبراهيم مع أمراة ملك شنعار، وأريوك ملك الألسار، وتدعال ملك جوييم، فأخضعوا مدن الدائرة حول البحر الميت. قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٧٤.

(٣) عِيلَام: اسم عبري من أصل أكادي معناه مرتفعات... [المراد به هنا] بلاد وراء دجلة، شرق بابل، جنوب مملكتي آشور وميديا، وشمال خليج العجم، وغرب مملكة فارس، وكانت مركز إمبراطورية قديمة. قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٥٠.

(٤) دائرة المعارف الكتابية، ٦/ ٣٣١.

(٥) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٣٨.



والعجيب أن نسخة الكتاب المقدس التي نقحتها الرهبانية اليسوعية تعلق على هذه القصة قائلة: "لا صلة لرواية هذا الفصل بأي مصدر من مصادر سفر التكوين، ويبدو أنها مأخوذة من وثيقة قديمة، نُقِّحت، وكُتِّفت لإبراز دور إبراهيم البطولي في الحرب"^(١).

وهي عبارة -لا أقول تُوهم- بل تصرح بالشك في القصة، وترى فيها محاولة لإبراز دور بطولي لأبرام، وأنها لا وجود لها في مصادر سفر التكوين، وهي إشارة أيضا إلى تعرض هذا السفر -

كما تعرض غيره- لعمل اليد البشرية فيه حذفًا وإضافة.

وليس لدينا في أي من المصادر الإسلامية إشارة إلى هذه العملية العسكرية المنسوبة له -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.



(١) يُنظر نسخة الكتاب المقدس للرهبنة اليسوعية ص ٨٧، هامش ١.



المطلب الثاني

الشكر على نعمة النصر بين سفر التكوين والسنة النبوية

بعد انتهاء هذه العمل العسكري الموفق -حسب سفر التكوين- وبعد أن استرجع أبرام كل الأملاك التي انتهبها "كُذِّرْلعومر"، واسترجع لوطا وأملاكه والنساء والشعب "فخرج ملك سدوم لاستقباله، بعد رجوعه من كِسْرَةَ "كُذِّرْلعومر" والملوك الذين معه إلى عمق شوى^(١)، الذي هو عمق الملك، وملكي صادق^(٢)، ملك شاليم، أخرج خبزا وخمرا، وكان كاهنا لله العلي، وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي سلم أعداءك في يدك، فأعطاه عشرة من كل شيء، وقال ملك سدوم لأبرام: أعطني النفوس، وأما الأملاك فخذها لنفسك". فقال أبرام لملك سدوم: رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض، لا آخذن لا خيطا ولا شركا نعل، ولا من كل ما هو لك، فلا تقول: أنا أغنيت أبرام، ليس لي غير الذي أكله الغلمان، وأما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي"^(٣).

والملمح الذي أقصده هنا هو ما ورد من ذكر "ملكي صادق وأبرام لله العلي مالك السموات والأرض، مع أن قول "ملكي صادق" كان في صيغة الدعاء، وأما قول أبرام فإنه كان في صيغة القسم ألا يأخذ شيئا من الغنائم إلا ما استثناه، ويُعكر على هذا الموقف الدعوي أيضا -من وجهة نظر الباحث- قول أبرام "فلا تقول: أنا أغنيت أبرام"، فإن الباحث يرى في العبارة جفاء، وسوء معاملة لملك قطع طريقا طويلا لاستقباله، وشُكره على ما قام به من عملية إنقاذ ناجحة، ولو أنه شفع هذا بأن حمد الله العلي مالك السموات والأرض على توفيقه؛ لكان الموقف أجمل، ولكننا لا نلمح أي شكل من أشكال الدعاء أو الحمد لله على ما وفقه له من نصر على ملك قادر وحلفائه في هذا الزمان!

(١) شوى: كلمة عبرية معناها "سهل" والمراد الموطن الذي استقبل فيه ملك سدوم أبرام بعد عودته.

دائرة المعارف الكتابية، ٥٧١/٤.

(٢) مَلِكِي صَادِق: اسم سامي، معناه "ملك البر"، وهو ملك شاليم أي أورشليم [القدس]، وكاهن الله العلي، أخرج خبزا وخمرا لإبراهيم في وادي "شوى" وأخذنا عُشرا منه. قاموس الكتاب المقدس، ٩٢٢.

(٣) سفر التكوين ١٤: ١٧: ٢٤.



أين هذا الجفاف العجيب مما ورد عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في غزوة بدر حيث استقبل "نبي الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه، مادًا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله -عَزَّوَجَلَّ -: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ) ^(١) فأمد الله بالملائكة" ^(٢) ^(٣).

وفي أعقاب المعركة "يوم أحد وانكفاً المشركون، قال: رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- استووا حتى أثنى على ربي، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: "اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم إني

(١) سورة الأنفال: ٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث رقم ١٧٦٣.

(٣) وتظهر دائما -في جميع أحواله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الحال من الضراعة والانطراح على عتبات القدس الإلهي إظهارا لكمال العجز إلا من حول الله وقوته، وطلبًا للمعونة والتأييد ممن لا يملكها إلا هو، فأتثناء غزوة أحد، وعند تحول النصر إلى هزيمة " فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أين كنت اليوم يا سعد؟ فقلت: حيث رأيت رسول الله، فأجلسني أمامه، فجعلت أرمي، وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "اللهم استجب لسعد، اللهم سدد لسعد رميته، إياها سعد، فذاك أبي وأمي" فما من سهم أرمي به إلا، وقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اللهم سدد رميته، وأجب دعوته، إياها سعد" حتى إذا فرغت من كنانتي، نثر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما في كنانته،... قال الزهري: "إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم. المستدرک علی الصحیحین، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، ٢٨/٣، حديث رقم ٤٣١٤، تحقيق: مصطفى عطا، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.



عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر، والفسوق، والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أتوا الكتاب إله الحق"^(١).

هكذا تُصنع المواقف الدعوية، وهكذا تبرز خصائص النبوة والرسالة، وهذا هو جوهر الدين، وحقيقة الدعوة وطبائع المرسلين كما جاء به الشرع، وكما يتصورها العقل والمنطق.



(١) مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، ٢٤٦/٢٤، حديث رقم ١٥٤٩٢، وقال محققو المسند: رواه ثقات.

المبحث الرابع

وعد الله تعالى لأبرام بالذرية

المطلب الأول

أدب الطلب بين سفر التكوين والقرآن الكريم:

وسط هذا الجفاف الدعوي، والغياب الواضح لملامح النبوة والرسالة، التي تبرز ملامحها في شخصية "ملكي صادق" أوضح منها في إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؛ يشير سفر التكوين^(١) إلى أن الله وعد أبرام أن يكون سنده وظهيره، فيرد أبرام في قنوط واضح قائلاً: "أيها السيد الرب، ماذا تعطيني وأنا ماض عقيماً، ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي^(٢)؟" وقال أبرام أيضاً: "إنك لم تعطيني نسلاً، وهوذا ابن بيتي وارث لي"^(٣)، ولا نعرف شبيهاً لهذا القنوط إلا ما ورد في القرآن الكريم في حق بني إسرائيل، (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)^(٤)، فلا شكر على نعمة، ولا صبر على بلاء!

والقرآن الكريم يعرض هذه الحالة المصورة للرجوة الفطرية عند خلق الله - ورسل الله منهم- في الذرية الصالحة، ولكن يبرز التضرع الصادق، والرجاء الخاضع، المشفوع بالطمع في ذرية تحمل هم الدين والدعوة، قال تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)^(٥)، فهو "لم يرد الولد بشهوته الدنيا وأخذ الحظوظ منها، وإنما طلب الولد ليقوم بحق الله... يكون وارثاً لي أي يبقى بعدي، ويرث من آل يعقوب النبوة وتبليغ الرسالة... ترضى عنه فيكون مرضياً لك"^(٦)، ويقول تعالى:

(١) سفر التكوين ١٥: ١-١١.

(٢) أليعازر الدمشقي، وكيل بيت إبراهيم، وخادمه الأمين. قاموس الكتاب المقدس، ص ١١٣.

(٣) سفر التكوين ١٥: ٢، ٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٢٩.

(٥) سورة مريم: ٢: ٦.

(٦) لطائف الإشارات للششيري، ٢/ ٤٢٠.



(وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)^(١). "سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه، ولا يدعه وحيدا بلا وارث، ثم رد أمره إلى الله مستسلما فقال:.... إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي، فإنك خير وارث"^(٢).

هذا وحي الله، وتلك سنته في التعبير عن حقيقة النبوة والرسالة، وحال الأنبياء والمرسلين، وهذا أدب النبوة عند السؤال والطمع فيما عند الله تعالى، لا يسخطون، ولا يضرجون، ولا يقدمون بين يدي الله تعالى، يستمنحون الله، ثم يُسلمون بمراده فيهم، لقد سأل نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ربه بدافع غريزة الأبوة، وتعلقا أن يكون ابنه من الناجين، فقال: (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٣).

فلما أخبره تعالى أن "مدار الأهلية هو القرابة الدينية، وقد انقطعت بالكفر"^(٤)، طوى عاطفة الأبوة، واستعاذ بالله أن يسأله ما ليس له به علم.



(١) سورة الأنبياء: ٨٩، ٩٠.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، ١٣٣/٣، ط ٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة هود: ٤٥: ٤٨.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبد الله ٢٦٦/٦، تحقيق: علي عطية، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ.

المطلب الثاني

علامة الوعد الإلهي بالذرية (الطيور الأربعة)

لما بشر الرب أبرام أنه سيولد له، وأن نسله سيرثه، وسيكونون كنجوم السماء، وأنه سيورثهم هذه الأرض؛ فطلب أبرام علامة على وراثته لهذه الأرض فقال له الرب: "خذ لي عجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشا ثلاثيا، ويمامة وحمامة"، فأخذ هذه كلها، وشقها من الوسط، وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه، فنزلت الجوارح على الجثث، وكان أبرام يزرعها... ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع، في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"^(١).

والمقصود من هذه القصة أن الله أراد أن يؤكد لإبراهيم وعده بتوريثه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، بما كان معلوما في هذا الزمان "حيث كان المتعاهدون يسيرون بين اللحوم الدامية، ويلتمسون من الله أن يُحرقوا مثل هذه الضحايا، إن خالفوا التزامهم، وكان الله يجتاز في رمز نار... والتزام المتعاهدين رسمي يُعبّر عنه بـ "يمين اللعنة" التي يقسمونها لدى اجتيازهم ما بين الحيوانات المجزأة"^(٢).

وهكذا -حسب سفر التكوين - نزل الله تعالى، ومشى بين قطع لحم العجلة والعنزة والكبش ذوات الثلاثة أعوام، واليمامة والحمامة، كتأكيد لوعده لأبرام!

قصة الطيور الأربعة في القرآن الكريم:

وردت هذه القصة في القرآن الكريم في سياق آخر، ولسبب آخر، فجاءت في سياق ما يسمى بالمجموعة القصصية، والتي يُقصد بها ورود عدد من القصص تعالج موضوعا واحداً، وفي سورة البقرة، جاءت قصة النمرود، وقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة طلب الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أن يعرف: كيف يُحيي الله الموتى، كلها تعالج قضية واحدة، وهي قدرته سبحانه على إحياء الموتى.

(١) سفر التكوين ١٥: ٩، ١١ و ١٧، ١٨.

(٢) يُنظر: الكتاب المقدس، الترجمة اليسوعية، ص ٩٠، هامش ٤.



قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(١).

في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) ^(٢).

و"المراد نفي الشك عنهما، أي لم يشك، ونحن كذلك، ولو شك لكانا أولى بذلك منه؛ إعظاماً لإبراهيم" ^(٣). "فلم يكن ذلك شكاً منه، ولم يُرد به رؤية القلب، وإنما أراد به رؤية العين" ^(٤).

وقيل: "لما نزل (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)، قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أنا أحق بالشك من إبراهيم"، تواضعاً وتقديماً لإبراهيم على نفسه يريد: إننا لم نشك ونحن دونه، فكيف يشك هو؟" ^(٥).

"فسأل كشف غطاء العيان بعيني رأسه ليزداد بنور اليقين يقيناً في قدرة الله... على معنى طلب الزيادة في يقينه" ^(٦).

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب: "وإذا قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى..."، حديث رقم ٤٥٣٧.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، ١٤٠/١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) معاني القرآن، الأخفش، سعيد بن مسعدة، ١٩٨/١، تحقيق: هدى قراعة، ط١، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

(٥) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك ٥٢٥/٩، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٦) تفسير التستري، سهل بن عبد الله بن يونس، ص ٣٧، جمع: محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٣هـ.

"أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) قال: فمَرَّقِهِنَّ، قال: أمر أن يخلط الدماء بالدماء، والريش بالريش، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً"^(١)، "ف فعل ذلك إبراهيم، وأمسك رؤوسهنَّ عنده، ثمَّ دعاهنَّ، فقال: تعالين بإذن الله، فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها إلى بعض، حتى تكاملت أجزاءها، ثمَّ أقبلن على رؤوسهنَّ"^(٢)، "فشاهد إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ما كان يعلمه غيباً رأيي عين، وعلم كيف يفعل الله ذلك"^(٣).

والقرآن الكريم يصدق ما بقي من حق في هذه الكتب، ومهيمن عليها؛ فيشير إلى ما بها من تحريف، ويبين الحق الذي كان من قصص، وما سواه.

وكالمعتاد تُذيل القصة في القرآن الكريم بما يُجمل هدفها، ويبين الغاية من سردها، فذيل سبحانه القصة ببيان أنه تعالى "عَزِيزٌ، لا يمتنع عليه ما يريد، حَكِيمٌ فيما يُدَبِّرُ، لا يفعل إلا ما فيه الحكمة"^(٤).



(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٦٤١/٤، ويُنظر أيضاً: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ٣٧٢/١.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، ص ١٨٦، تحقيق: صفوان داوودي، ط ١، دار القلم: دمشق، دار الشامية: بيروت، ١٤١٥ هـ.

(٣) معاني القرآن للزجاج، ٣٤٦/١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ٣٤٦/١.



المطلب الثالث

تحول أبرام إلى إبراهيم وحصر العهد في ذرية إبراهيم من سارة

تحول أبرام إلى إبراهيم:

في هذه المسألة التي نحن بصددنا يتفضل الله على إبراهيم بتغيير اسمه، "فسقط أبرام على وجهه، وتكلم الله معه قائلا: أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم؛ لأنني أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون"^(١).

وقد سبق معنا أن "أبرام" معناها: الأب الرفيع أو المُكرم، ومعنى إبراهيم: أبو رهام، أي أبو جمهور"^(٢).

وإذا يممننا وجوهنا شطر القرآن الكريم وجدنا أن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ورد ذكره في القرآن الكريم في نحو ستين موضعا، اتفقوا في جميعها على القراءة بـ "إبراهيم،" (واختلفوا) في ثلاثة وثلاثين موضعا... فروى هشام من جميع طرقه (إبراهام)... واختلف عن ابن ذكوان فرؤى عنه بالياء [إبراهيم] كالجماعة... وبالألف فيما كهشام"^(٣).

فهل في ذلك إشارة إلى إمكان تغيير اسم إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تصديقا لما جاء في سفر التكوين؟ أو أنه حكاية للغات للعرب في اسم "إبراهيم" حيث كانت العرب "إذا أعربت اسما من غير لغتها أو بنته؛ اتسعت في لفظه، لجهل الاشتقاق فيه"^(٤)؟

قال أبو حيان: "وفيه لغى ست: إبراهيم بألف وياء وهي الشهيرة المتداولة، وبألف مكان الياء [إبراهام]، وبإسقاط الياء مع كسر الهاء [إبراهيم]، أو فتحها [إبراهم]، أو

(١) سفر التكوين: ١٧، ٣: ٦.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة، ص ٤.

(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ٢/٢٢١، تحقيق: علي الضباع، دط، المطبعة التجارية: القاهرة، دت.

(٤) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، الحسين بن أحمد ص ٨٦، تحقيق: عبد العال مكرم، ط ٤،

دار الشروق: بيروت، ١٤٠١هـ.

ضمها [إبراهيم]، وبحذف الألف والياء وفتح الهاء [إبرهم]^(١)، والقراءات تيسير الله تعالى على الأمة بإنزال القرآن على لهجات العرب.

وعلى كل حال، فإني لأبحث وأفتش في نصوص هذا السفر عن مضمون ديني، أو ملمح دعوي، أو بُعد تربوي، فلا أقف من ذلك على شيء، بل إن العهد الذي نحن بصددده الآن هو الختان! "وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم"^(٢).

إن الختان شعيرة من شعائر الله تعالى، ولكن أهذا هو تفسير عهد الله لأدم وذريته، والذي استحق به الإمامة، واستحق به أن يكون نسله كعدد نجوم السماء؟

لقد ذكر عهد الله لإبراهيم في القرآن الكريم، "وفي هذا العهد سبعة تأويلات: أحدها: أنه النبوة، وهو قول السدي. والثاني: أنه الإمامة، وهو قول مجاهد، والثالث: أنه الإيمان، وهو قول قتادة. والرابع: أنه الرحمة، وهو قول عطاء. والخامس: أنه دين الله وهو قول الضحاك. والسادس: أنه الجزاء والثواب. والسابع: أنه لا عهد عليك لظالم أنه تطيعه في ظلمة، وهو قول ابن عباس"^(٣).

هذه هو العهد الذي عاش به إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، ومات عليه، ووصى به أبناءه، قال تعالى: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)^(٤)، هذا هو العهد الإلهي لإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، التوحيد، هو القضية الكبرى، وهو التركة، وهو الشرف، وأما

(١) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف ٥٤٢/١، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

(٢) سفر التكوين: ١٧، ٣: ٦.

(٣) النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد بن محمد ١٨٥/١.

(٤) سورة البقرة: ١٣١: ١٣٣.



شواغل الحياة الدنيا، فليست هاجسا يُوصى به الأنبياء، أو يُوصى به أبناء الأنبياء، وإن كانوا يأخذون بأسباب المعاش، ويضطلعون بمسؤولياتهم الدنيوية تجاه أهلهم وذرياتهم.

أما سفر التكوين فالمتدبر يلحظ بشكل واضح الإصرار على حصر البركة والعهد الإلهي في إبراهيم وذريته، في حين يشير بإجمال عجيب إلى مؤهلات هذه البركة والعهد الإلهي! كقوله: "أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملا؛ فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثر كثيرا جدا"^(١). فالبركة هنا مرتبطة بأشخاص، وفي المقابل نجدها في القرآن الكريم ترتبط بالمبادئ والقيم، يقول تعالى: "قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"، فالظالم لا ينال عهد الله ولو كان من نسل إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، والولاية التي قدرها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وثمنها هي ولاية الإيمان والتقوى.

هذا الاستقطاب، والإصرار على حصر الخيرية في فرع من أبناء آدم دون غيره، يتوافق مع روح العنصرية البغيضة لدى اليهود، ويشير - بما لا يدع مجالا للشك - إلى مصدر هذه العنصرية، التي لا يمكن أن تكون وحيا إلهيا، فالله تعالى رب الجميع وخالق الجميع، وعهده لا ينال ظلما، كائنا من كان.

حصر عهد الله لإبراهيم في نسله من سارة؛

واستمرارا في طريق الإقصاء ورؤية الذات يتجدد - حسب سفر التكوين - عهد الإله لإبراهيم في نسله من سارة فقط.

جاء في سفر التكوين: "فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية"^(٢).

علما أن هذا العهد المزعوم سوف ينحصر بعد ذلك - بزعمهم - في يعقوب بن

(١) سفر التكوين ١٧: ١، ٢.

(٢) سفر التكوين ١٧: ١٩: ٢١.

إسحاق، ويُقصى منه "عيسو" عن طريق الحيلة والخداع والتآمر^(١) من يعقوب ورفقة زوجة إسحاق ضد عيسو، وتنجح الحيلة والخداع والتآمر في سلب العهد وحق البكورية من "عيسو" ليصبح حصريا ليعقوب وأولاده من بعده!

ويظهر الإقصاء كذلك، وتبرز العنصرية حينما يذكر سفر التكوين إسحاق باسمه، ويعبر عن إسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بابن الجارية، وكأنهما ليسا -معا- ابني الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، إن إسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو البكر، وله حق -عندهم- باعتبار بكوريته، ولكن كونه ابن جارية يضعه في مرتبة أقل، بل لا يُذكر اسمه كما يُذكر اسم إسحاق!

لقد رأَت "سارة ابن هاجر المصرية -الذي ولدته لإبراهيم- يلعب مع ابنها إسحاق، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الخادمة وابنها، فإن ابن هذه الجارية لن يرث مع ابني إسحاق"^(٢).

ولما عاتبها إبراهيم على ذلك، إذا بالإله (العادل) يقول لإبراهيم: "لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها؛ لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك"^(٣).

خطاب إقصائي عنصري جاف، لا ينبني على منطق أو شرع^(٤)؛ فكلمهم أبناء إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، كما أن الخلق جميعا عبيد الله تعالى، وكلمهم أمامه سواء، وإنما يتفاضلون بالتقوى والعمل الصالح.

ولكن الروح العدمية للذين حرفوا كلام الله تعالى لا تلبث تنتقل من إقصاء إلى

(١) سفر التكوين ٢٧: ١: ٤٥.

(٢) سفر التكوين: ٢١: ١٠. النسخة اليسوعية.

(٣) سفر التكوين ٢١: ١٢، ١٣.

(٤) في سفر التثنية: "إذا كان لرجل امرأتان، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين، المحبوبة والمكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته، له حق البكورية" ٢١: ١٥: ١٧. فهذا الخطاب الإقصائي يخالف تعاليم التوراة نفسها.



عنصرية، يكشف عن عداة للإنسانية ورؤية سلبية للآخر من جانب وتقديس للذات من جانب آخر.

ويخبرنا سفر التكوين أيضا "وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقا إلى أرض المشرق، وهو بعدُ حي"^(١)، فأبناء الجوارى والسراري مرتبة أدنى في الدين والدنيا، هكذا عدالة رب اليهود.

محاولات تجميل العهد الإلهي لإبراهيم:

يُحمد لبعض الباحثين المسيحيين محاولاتهم إضفاء المسؤولية على اختيار الله لبني إسرائيل، وكأنهم جوا من فجاجة هذا الإقصاء، القائم على اختيار رجل وذريته بلا مسوغ شرعي أو منطقي.

يقول القس عيسى دياب: "لكن هل الله اختار إسرائيل لميزة فيها دون شعوب العالم؟ بالطبع لا، والعهد القديم يوضح ذلك "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر، فاعلم أن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يُحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل"^(٢)... لكن هذا الاختيار مشروطا بالبقاء على عبادة الله الواحد، وعندما لا يُطبق الشعب هذا الشرط فالاختيار لا يعني شيئا على الإطلاق، ثم إن هذا الاختيار مصحوب بمسؤولية، والمسؤولية هي نشر رسالة الله الواحد في بقاع الأرض كلها... هذا الاختيار ليس اختيارا تفضيلا، بل اختيارا لدعوة ومسؤولية"^(٣).

(١) سفر التكوين ٢٥: ٥، ٦.

(٢) سفر التثنية ٧: ٦، ٩.

(٣) العهد القديم وعالمه وتحدياته، عيسى دياب ١/١٩٩، ٢٠٠، ط ١، دار منهل الحياة: لبنان، ٢٠١٤.

هذا الفهم المتزن لمعنى العهد والاختيار يتوافق تماما مع الطرح الإسلامي.

يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)^(١).

"والكِتَابَ هو التوراة. وَالْحُكْمَ هو السنة والفقہ، فيقال إنه لم يتسع فقه الأحكام على لسان نبي ما اتسع على لسان موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَالنُّبُوَّةَ هي ما تكرر فيهم من الأنبياء، وقوله تعالى: (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) يعني المستلذات الحلال، ويهدين تتم النعمة ويحسن تعديدها... وقوله تعالى: (عَلَى الْعَالَمِينَ) يريد على عالم زمانهم. والبيئات من الأمر: هو الوحي الذي فصلت لهم به الأمور. ثم أوضح تعالى خطأهم وعظمه بقوله: (فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)، وذلك أنهم لو اختلفوا اجتهادا في طلب صواب لكان لهم عذر في الاختلاف، وإنما اختلفوا بغيا وقد تبينوا الحقائق، ثم توعدهم تعالى بوقف أمرهم على قضائه بينهم يوم القيامة"^(٢).

إن هذه المحاولة تؤكد اقتناعهم بأن عهد الله تعالى يقوم على الدين، وليس على علائق القربى.



(١) سورة الجاثية: ١٦، ١٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، ٨٤/٥، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢ هـ.



المبحث الخامس

نزول الله والملائكة عند إهلاك قري قوم لوط - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

المطلب الأول

قصة النزول بين سفر التكوين والقرآن الكريم

يخبرنا القرآن الكريم أن الملائكة نزلت لإهلاك قوم لوط - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا مِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) ^(١)، وقال تعالى: (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) ^(٢).

ولكن سفر التكوين يخبرنا أن الله نزل ومعه بعض ملائكته، "وظهر له الرب عند بلوطات ممرا، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض، وقال: يا سيد، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء، واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز، فتسندون قلوبكم ثم تجتازون، لأنكم قد مررتم على عبدكم". فقالوا: هكذا تفعل كما تكلمت ^(٣).

وبينما يخبرنا القرآن الكريم أن الملائكة لم تأكل، قال تعالى: (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) ^(٤).

يخبرنا سفر التكوين أنه بينما إبراهيم قائم كان الثلاثة يأكلون، "ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا، وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله، ثم أخذ

(١) سورة هود: ٧٧.

(٢) سورة هود: ٨١.

(٣) سفر التكوين ١٨: ١: ٥.

(٤) سورة الذاريات ٢٦: ٣٠.



زيدا ولبنا، والعجل الذي عمله، ووضعها قدامهم، وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا"^(١).

وهكذا يكشف القرآن الكريم التحريف والتبديل الذي طرأ على القصة، وهي نفس اليد التي صورت الخالق يمشي في الجنة، ويسمع آدم وقع أقدامه، ويستتر منه خوفاً أو حياء، ولا يعرف أين آدم إلا بعد أن يُخبره أنه أصبح عريانا، فيكتشف الخالق - بزعمهم- أنه أكل من الشجرة التي نهاه عنها! وهي كذلك يد التحريف التي تزعم أن الخالق ينزل على الأرض في صورة بشر، وينزل مع الملائكة، ويجلس، ويغسلون أيديهم وأرجلهم، ويأكلون ويشربون!



(١) سفر التكوين ١٨: ٧، ٨.



المطلب الثاني

شفاعة إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في قوم لوط

هذا هو الموقف الفريد الذي يمكن أن نلمح فيه ملاحم النبوة في شخصية الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

جاء في سفر التكوين: "وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب، فتقدم إبراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم؟ عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه؟ حاشاً لك أن تفعل مثل هذا الأمر، أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم، حاشاً لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟ فقال الرب: إن وجدت في سدم خمسين باراً في المدينة، فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم، فأجاب إبراهيم وقال: إني قد شرعت أكلّم المولى وأنا تراب ورماد، ربما نقص الخمسون باراً خمسة، أتهلك كل المدينة بالخمسة؟ فقال: لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين، فعاد يكلمه أيضاً وقال: عسى أن يوجد هناك أربعون، فقال: لا أفعل من أجل الأربعين. فقال: لا يسخط المولى فأتكلم، عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال: لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين. فقال: إني قد شرعت أكلّم المولى، عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال: لا أهلك من أجل العشرين. فقال: لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط، عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال: لا أهلك من أجل العشرة. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى مكانه"^(١).

وتبدو هنا في هذه القصة طبيعة النبوة الرحيمة، التي ترجو النجاة للأثم مهما بلغت ذنوبه، والتي استحق بها إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثناء الله تعالى، وهذا الثناء لم يرد إلا في القرآن الكريم.

فقد ذكر القرآن الكريم محاولات الشفاعة التي قام بها إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، مع الإشارة إلى أن المعنى في القرآن العظيم أعظم وأفخم، حيث تتجلى رحمة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وحده وعطفه على لوط وقومه، على الرغم من الروع الذي أصابه.

(١) سفر التكوين ١٨: ٢٢: ٣٣.

قال تعالى: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ)^(١).

والمعنى: فلما "سري عن إبراهيم وانكشف ما راعه من الخيفة والرعب، إذ علم أن هؤلاء الرسل من ملائكة العذاب، وجاءته البشري بالولد واتصال النسل، أخذ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط، [و] جعلت مجادلتهم ومراجعتهم مجادلة له تعالى؛ لأنها مجادلة في تنفيذ أمره، وإنما قال (يجادلنا) دون (جادلنا)، والأصل في جواب، "لما" أن يكون فعلا ماضيا؛ لتصوير تلك الحال كأنها حاضرة... والمراد بالمجادلة ما ذكر في سورة العنكبوت"^(٢).

قال تعالى: (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)^(٣)، وقال تعالى: (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٤)، ولم يكن هؤلاء المؤمنون إلا "لوط وأهله إلا امرأته"^(٥).

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة، قوله (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال: لو كان فيه أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله"^(٦)، ويؤكد هذا قوله تعالى: (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)^(٧)، وأشد من ذلك توضيحا قوله

(١) سورة هود: ٧٤: ٧٦.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٠٩/١٢.

(٣) سورة العنكبوت: ٣١، ٣٢.

(٤) سورة الذاريات: ٣٥، ٣٦.

(٥) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ٧/٢٧.

(٦) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ٣٩٠/٤.

(٧) سورة العنكبوت: ٨١.



تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ)^(١).





المطلب الثالث

إسكان هاجر وإسماعيل عليهما السلام برية فاران

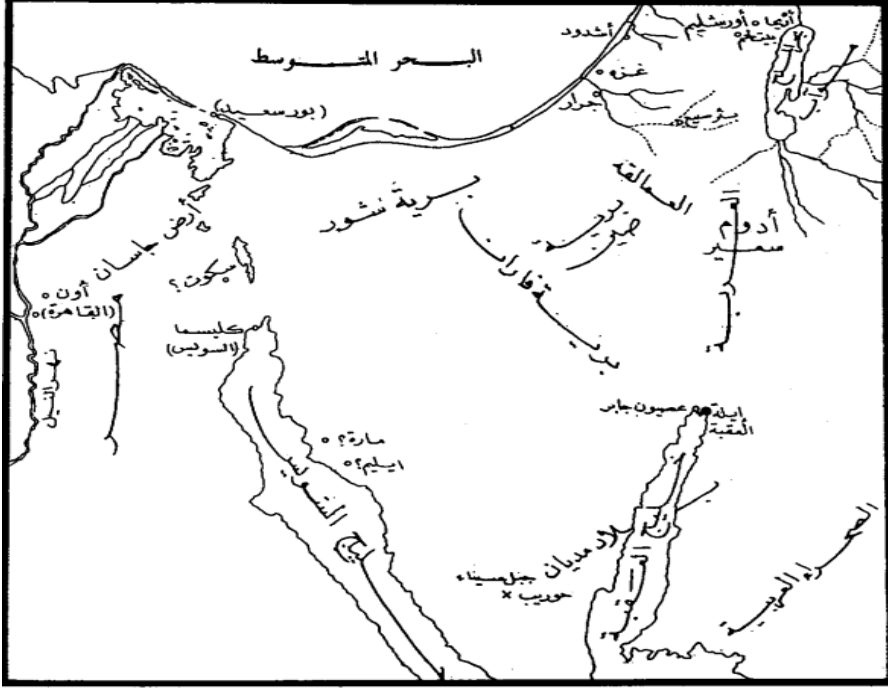
يخبرنا سفر التكوين أن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- صرف هاجر وابنها -حسب رغبة سارة-، جاء فيه: "فبكر إبراهيم صباحا، وأخذ خبزا، وقربة ماء، وأعطاهما لهاجر، واضعا إياهما على كتفها، والولد، وصرفها، فمضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس، لأنها قالت: لا أنظر موت الولد، فجلست مقابله، ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احلمي الغلام وشدي يدك به؛ لأنني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام، فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر"^(١).

يرى اليهود والنصارى أن فاران التي سكن فيها هاجر وإسماعيل عليهما السلام هي "برية واقعة إلى جنوب يهوذا، وشرق برية بئر سبع وشور وقابل، بين جبل سيناء وكنعان، وكانت فيها قادمس، وبطمة فاران أو أيلة (إيلات اليوم) على البحر الأحمر، كما كانت تشمل برية صين، أو كانت مندمجة فيها دون حد معين يفصل بينهما، وجميع هذه المعلومات تشير إلى السهل المرتفع أو الأرض الجبلية الواقعة إلى جنوب كنعان، تحيط بها من الجهات الأخرى برية شور وسلسلة الجبال المعروفة بجبل التيه ووادي العربية"^(٢)، وقيل "إن برية فاران كان الاسم القديم لكل شبه جزيرة سيناء في العصور الكتابية"^(٣)، وتلك وجهة النظر اليهودية المسيحية.

(١) سفر التكوين ٢١: ١٤: ٢١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ٦٦٧.

(٣) دائرة المعارف الكتابية، ٢/٦.



خريطة لبرية فاران
coptic-books.blogspot.com

ويقول ياقوت الحموي: عن فاران: "وهي من أسماء مكة في التوراة، قيل: هو اسم لجبال مكة"^(١).

والنص الذي يقصده ياقوت هو: "جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلاً من جبل فاران"^(٢).

وقد عقد الدكتور إبراهيم خليل أحمد، وقد كان أستاذاً للاهوت المسيحي، ثم أسلم مبحثاً يربط فيه بين هذه الفقرة في سفر التثنية، وبين قوله تعالى: (وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ)^(٣).

إن القدر المتفق عليه، الذي لا يخالف فيه أحد أن إسماعيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - سكن بركة فاران، والمتفق عليه أيضاً أن إسماعيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هو أبو العرب المستعربة،

(١) معجم البلدان، الحموي، ياقوت بن عبد الله ٤/٢٢٥، ط ٢، دار صادر: بيروت، ١٩٩٥ م.

(٢) سفر التثنية ٣٣: ٢.

(٣) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص ٢٤، دط، دار المنار: القاهرة، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.



وهؤلاء العرب مقرهم الأصلي بلاد الحجاز.

والقرآن المهيمن جاء مبينا وحاكما، وساردا للقصة بما يتناسب مع جلال النبوة والرسالة، ويتناسب مع فضل آل إبراهيم الذين فضلهم الله تعالى على العالمين، قال تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)^(١).

وجاءت السنة بتفصيل الأحداث والأماكن، ففي الصحيح عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ^(٢) مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتَعْفِي أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِأَيْمَانِهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا، فَتَبِعْتَهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ؛ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ...^(٣).

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٢) الْمِنْطَقُ: ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل، ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل ٢٨٥/٦، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م. والمراد هنا إرخاء ذيلها حتى تغطي أثر أقدامها حتى لا تتبعها سارة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، حديث رقم ٣٣٦٤. وتتمة الحديث: "وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرِبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ؛ فَاَنْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصِّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا،



فَفَعَلْتَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: فَذَلِكَ سَعَى النَّاسِ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمُرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ، تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدَيْهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ بِفُورٍ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمَ عَيْنًا مَعِينًا، قَالَ فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ بَيْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ. وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّايِبَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنِ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقٍ كَذَا، فَتَزَلُّوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِقًا (٣) فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّتَيْنِ فَإِذَا هُمُ بِالْمَاءِ، فَارْجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ، فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذِينِ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قَالُوا ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَانَ، فَتَزَلُّوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَتَزَلُّوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَيْبَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلَ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يَغْيِرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنْسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتَهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيْرِ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرِفَكَ، الْحَقِي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدَ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ، وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ. قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهَمَا لَا يَخْلُو عِلْمُهُمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُؤَافِقَاهُ. قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُتَبَّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ: نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتَهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتَهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ: فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ: نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُتَبَّتْ عَتَبَةَ بَابِكَ



وفي الحديث من ملامح النبوة والرسالة والشخصية الدعوية ما ملخصه:

١- التسليم لأمر الله تعالى من إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، حيث أسكن زوجته وابنه الوحيد مكانا لا حياة فيه، وهو كاره لهذا بلا شك، وقد ورد نص في التوراة السامرية فسره البعض بأنه رجاء ضمني من إبراهيم أن يبقى إسماعيل عنده، والنص هو "فقال إبراهيم لله: يا ليت إسماعيل يحيى في طاعتك"^(١)، ومع كرهه فلقد سمع وأطاع، واثقا من أن الله تعالى سيخلفه في ذريته.

٢- دعاء إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بعد أن واره الجبل عنهما، (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)^(٢)، هذا الدعاء الضارع، الخارج من مشكاة النبوة الحقة، والذي لم أقف على نظير له في سفر التكوين يقول: "أسكنتهم لإقامة حَقِّك، لا لطلب حظوظهم. ويُقال: اكتفى أن يكونوا في ظلال عنايته عن أن يكونوا في ظلال نعمته"^(٣).

قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي تَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ، قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ، فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبِي هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهِدَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) قَالَ فَجَعَلَا بَيْنَيْنَا حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

(١) التوراة السامرية، سفر التكوين: ١٧، ١٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٧: ٣٩.

(٣) لطائف الإشارات للقشيري، ٢/٢٥٨.



٣- استسلام هاجر لأمر الله تعالى، حين علمت أن فِعْلَ إبراهيم بأمر الله تعالى، وبقينها أن الله لن يضيعهم.

٤- إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في كل سفراته إلى مكة يتفقد الدين في ذريته، كان أول دعائه أن يقيموا الصلاة، ثم سأل لهم عرضاً من الدنيا، وعلله بأن يقيموا شكره تعالى، وطلب من إسماعيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أن يغير زوجته القانطة، التي لم ترض بقسمه تعالى، وأن يثبت تلك التي قنعت ورضيت وحمدت نعمة الله عليهم.

وأخيراً يرفع القواعد من البيت بأمر الله تعالى ومساعدة إسماعيل، منيبين مخبتين داعيين الله تعالى: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١).



المبحث السادس

قصة الذبيح بين سفر التكوين والقرآن الكريم

جاءت قصة الذبيح في سفر التكوين كما يلي: "وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم. فقال: هأنذا، فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك، فبكر إبراهيم صباحا، وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه، وإسحاق ابنه، وشقق حطبا لمحرقة، وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله، وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكما، فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه، وأخذ بيده النار والسكين، فذهبا كلاهما معا، وكلم إسحاق إبراهيم أباه، وقال: يا أبي، فقال: هأنذا يا ابني، فقال: هو ذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة؟ فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني. فذهبا كلاهما معا، فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله، بنى هناك إبراهيم المذبح، ورتب الحطب، وربط إسحاق ابنه، ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين؛ ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء، وقال: إبراهيم، فقال: هأنذا، فقال: لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئا؛ لأنني الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع إبراهيم عينيه، وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم، وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضا عن ابنه... ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء: وقال: بذاتي أقسمت يقول الرب، أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك؛ أباركك مباركة، وأكثر نسلك كثيرا كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي"^(١).

وهذا موقف آخر من المواقف التي تظهر فيها ملامح النبوة والرسالة في شخصية

إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

(١) سفر التكوين: ٢٢: ١: ١٨.



ولكن القوم يأبون إلا مخاصمة العقل والمنطق، حين يُقحمون اسم إسحاق بدلا من إسماعيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فكيف يكون إسحاق وحيدا، وإسماعيل يكبره بثلاث عشرة سنة حسب سفر التكوين!

وقد اعترف سفر التكوين بإسماعيل، وأن الله سيجعله أمة كبيرة، ويكثر نسله! فكيف يتجاهل كونه بكر إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وأنه وحده - من بين أبنائه- الذي يصلح أن يُشار إليه بأنه وحيد إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -؟!

وبينما يخبرنا سفر التكوين أن إبراهيم أخذ ابنه غيلة -دون أن يعرف-، وفرض عليه الحكم بأن يكون محرقة للإله، يخبرنا القرآن الكريم بما يتناسب مع تكريم الله للإنسان، من تخييره، وإعطائه الحرية فيما يخص أفعاله الاختيارية؛ فيختار أن يفعل أو لا يفعل، قال تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ^(١)، فأبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عرض الأمر على ابنه أولا، فإن الله لم يكلف آدم إلا بعد أن اختار لنفسه، ودلهم تعالى على الحق، ومنحهم حرية الاختيار.

وقيل إنما سأله لينتزع منه تفويض الأمر لله، لكمال معرفته بابنه، فعن "نوح بن حبيب قال: سمعت الشافعي يقول كلاماً ما سمعت قط أحسن منه، سمعته يقول: قال إبراهيم خليل الله لولده، وقت ما قص عليه ما رأى: ماذا ترى؟ أي: ماذا تشير به؟ قال ذلك ليستخرج من هذه اللفظة، ذكر التفويض والصبر، والتسليم، والانقياد لأمر الله، لا لمؤامرتة له مع أمر الله" ^(٢).

واستقراء القرآن العظيم يدل على أن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بُشر مرتين: بشارة بسلام حليم، وذلك في أعقاب تكسيره الأصنام، ومحاولتهم إحراقه، فهاجر من بلده، وسأل الله الذرية، فزرق الغلام الحليم، الذي يتناسب وصفه بالحلم مع ما ابتلي به مما لا يتصوره

(١) سورة الصافات: ١٠٢.

(٢) تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس ١٢٢٥/٣، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد الفران، ط ١، دار التدمرية: السعودية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

أحد، ولا يقدر عليه إلا من اصطفى الله من عباده.

وبشارة بغلام عليم، وذلك عند نزول الملائكة لإهلاك قوم لوط، كما ورد في سورتى هود، والذاريات، ودلالة القرآن الكريم، مع سياق الأحداث المتفق عليه من قصة الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، أن البشارة بالغلام العليم لسارة؛ لدلالة القرآن الكريم (وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَلَبَسَ زَنَاهَا بِيَسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(١))؛ فتأكد يقينا أن البشارة بالغلام الحليم هي الأولى، وهي بإسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لاتفاق اليهود والنصارى والمسلمين أنه أول ما رُزق الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الأولاد، من هاجر عليها السلام.

فالزعم بأن إسحاق -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو الذبيح زعمٌ يخالف المنطق والعقل، ويخالف سفر التكوين ذاته، ولكنه يتوافق تمام مع روح الإقصاء للآخر، وخط العنصرية الواضح لمحرفي سفر التكوين.

وينضاف إلى هذه العنصرية إصرار إبراهيم - حسب سفر التكوين - على ألا يزوج ابنه إسحاق -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من بنات الكنعانيين، حتى أخذ العهد على عبده المتولي شؤون بيته أن يعود إلى مدينة ناحور، ليأخذ زوجة لإسحاق من عشيرته هناك.

أما إبراهيم نفسه فيتزوج امرأة ليست من بني أبيه، وهي "قطورة"^(٢)، وأنجب منها ستة أبناء، كانوا آباء لستة قبائل عربية، وحسب سفر التكوين فإن جميع أبناء إبراهيم ما عدا إسحاق في مرتبة دنيا.

جاء في سفر التكوين: "وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراي

(١) سورة هود: ٧١: ٧٣.

(٢) لم يذكر العهد القديم أصلها، وإنما يذكر سفر الأخبار الأول أنها سرية إبراهيم، وقد ولدت لإبراهيم: زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحا، وأصبح هؤلاء آباء لستة قبائل عربية، عاشت في جنوبي وشرقي فلسطين، في شمالي الجزيرة العربية. دائرة المعارف الكتابية، ٢٣٧/٦.



اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقا إلى أرض المشرق وهو بعدُ حي" (١).

جاء في تفسير الكتاب المقدس: "ومع أن إبراهيم قد وهب الكثير لأبنائه منها، إلا أن كل ممتلكاته وسلطاته آلت إلى إسحاق بصفته الوريث الوحيد له، لقد ورث إسحاق كل ما كان لأبيه، بما في ذلك بأن يقيم من نسله أمة عظيمة" (٢).

إن تشريع الله تعالى يقوم على العدل، تختلف الشرائع، ولكنها في اختلافها لا تُحايي، أساسها العدل، وميزانها التقوى (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (٣)، فلا يتفاضل الناس بلون، أو دم، أو حال لم يكن لهم فيها يدٌ، إنما يؤاخذ الناس بسعيهم وبما كسبت أيديهم.

أما أن يأخذ أحد كل شيء لأنه ابن فلان من فلانة، ويُحرم آخر، لأنه ابن أمة أو جارية، فهذا ما لا يمكن أن يكون معيارا في شريعة من شرائع الله تعالى، إنها شريعة الإقصاء، والعنصرية البغيضة، إنه طُلُعُ التحريف والتزوير، والافتراء على الله تعالى.

شُحُّ في ملاحم النبوة والرسالة وإسراف في التأريخ:

هذا ملامح واضح جدا، يقف عليه المتدبر في سفر التكوين، ففي الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين -على سبيل المثال- يشير إلى وفاة السيدة سارة عن مائة وسبعة وعشرين عاما، وشراء إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مغارة يدفنها فيها، حيث يطلب المغارة من بني حث، وهم يستجيبون بكرم بالغ لطلبه، وينتهوا إلى شرائها بأربعمائة شاقل فضة، إصحاح كامل، يتحدث عن هذا الأمر، على حين يشح شُحًّا واضحا عجيبا، ملفتا للنظر الحديث عن مضمون الدعوة التي جاء بها الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وعن ملامحه النبوية والدعوية، التي ذكرها القرآن الكريم تماما على الذي هو أحسن.

(١) سفر التكوين: ٢٥: ٥، ٦.

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ٦٦، ٦٧.

(٣) سورة النجم: ٣٦: ٣٩.



المبحث السابع

أهم ما انفردت به نبوة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في القرآن الكريم والسنة النبوية

وفيما يلي استعراض لملامح نبوة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وسأكتفي هنا بالنقاط التي لم تتم الإشارة إليها فيما سبق من البحث، ومن أهمها:

المطلب الأول

مواطن الانفراد في القرآن العظيم

أولاً: مقام الدفاع عن دين الله تعالى^(١):

وليس شيء من ذلك في سفر التكوين، ولا قريب منه، وأهم نماذج هذا المقام ما

يلي:

المنظرة بين إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - والنمرود:

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٢)، "عن مجاهد قال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ). قال: هو نمرود بن كنعان"^(٣).

و"هذه الآية أصل في علم الجدل والمنظرة، قال العلماء: لما وصف إبراهيم ربه بما

(١) للباحث دراسة بعنوان: الحوار في الإسلام: مقاصده وأسسّه وتطبيقاته، منشور بحولية كلية الشريعة والقانون بالقاهرة.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٣) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ١/٣٧٠، ط١، دار المآثر: المدينة المنورة،

١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.



هو صفة له من الإحياء والإماتة، لكن له حقيقة ومجاز، وقصد الخليل الحقيقة؛ فزع نمرود إلى المجاز تمويهاً على قومه، حيث قتل نفساً وأطلق نفساً، فسلم له إبراهيم تسليم الجدل، وانتقل معه من المثال، وجاء بأمر لا مجاز فيه، فبهت وانقطع، ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق"^(١)، "فأبطل الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله، وأجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة"^(٢)

المنافرة بين الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وعبدة الكواكب:

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَقْلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)^(٣)

والخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - "إِنَّمَا قَالَ: هَذَا ربي استدراجاً للحجة على قومه ليعيب آلهتهم أتمها ليست بشيء، وأن الكوكب والقمر والشمس أكبر منها ولسن بالهة"^(٤)؛ "فأراهم أنه

(١) الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ص ٦١، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨١ م.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير ٣٤٢/١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر: القاهرة، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

(٣) سورة الأنعام: ٧٥: ٨٣.

(٤) معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، ٣٤١/١، تحقيق: أحمد نجاتي وآخرين، ط ١، دار المصرية: القاهرة، دت.

معظم ما عظموا، وملتمس الهدى من حيث التمسوا. وكلّ من تابعك على هواك وشايعك على أمرك، كنت به أوثق، وإليه أسكن وأركن. فأنسوا واطمأنوا"^(١).

ثانياً: إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أمة وحده:

قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(٢).

و"كَانَ أُمَّةً" أي "إماما يقتدي به الناس"^(٣)، والأُمَّة: "الجامع للخير"^(٤)، وفسر الإمام الشافعي "أُمَّة" بأنه -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كان معلماً^(٥).

وهذا المعنى ليس موجوداً أبداً بهذا العمق والوضوح في شخصية الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في سفر التكوين، وإن أمكن أن نسميه أمة حسب سفر التكوين، فلقد كان أمة في البحث عن المال وجمعه!

وأعظم ملامح هذا المعنى ما عبر عنه قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)^(٦)، والمعنى: "أن إبراهيم سماكم المسلمين... احتجاجاً بقوله تعالى: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)"^(٧).

(١) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ص ٢٠٢، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

(٢) سورة النحل: ١٢٠: ١٢٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، ص ٢٤٩، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.

(٤) الغربيين في القرآن والحديث، الهروي، أحمد بن محمد، ١/١٠٥، ط ١، تحقيق: أحمد المزدي، مكتبة نزار مصطفى الباز: السعودية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

(٥) تفسير الإمام الشافعي، ٢/٩٨٠.

(٦) سورة الحج: ٧٨.

(٧) النكت والعيون للماوردي، ٤/٤٣.



والأمر الإلهي الصريح الواضح (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، فالله تعالى "قد أمر نبيه محمدا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- باتباع ملة إبراهيم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-... وجعل تعالى ذكره إبراهيم إماما لمن بعده"^(١)، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والأمة الإسلامية مأمورون بأن يكونوا "على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرا منها"^(٢)، وتكرر الإشارة إلى هذا المعنى في كتاب الله تعالى، يقول عز من قائل: (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)^(٣).

ثالثا: مقام البلاغ:

وهذا أخص خصائص المرسلين، أن يبلغوا عن الله تعالى، قال تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)^(٤).

"سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل، الذين يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون -إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه- يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل -الذين هذه صفتهم- فكن، ولا تخش أحدا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه"^(٥).

ولقد بلغ الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- رسالة ربه، وأدى الأمانة تماما على الذي هو أحسن، وكتاب الله تعالى وسنة نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شهودٌ على ذلك، وفيما يلي إشارة إلى أهم المواقف الدعوية في القرآن الكريم:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ٧١١/٢.

(٢) المرجع السابق، ٣٩٨/١٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٦١.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ١٢٠/١٩.

موقف بلاغي في سورة مريم (إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يدعو أباه في خاصة نفسه) :

لم يذكر سفر التكوين شيئاً عن عقيدة أبي إبراهيم، بل ذكر أنهم خرجوا من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان، وأنه مات في حاران، ولكن القرآن الكريم يحكي لنا أن أباه كان يعبد الأصنام، (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^(١).

ودار بينه وبين أبيه هذا البلاغ المبين، قال تعالى: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَالَ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُّكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا)^(٢).

هذا الاستجداء الضارع، والحنان الشغوف، في مواجهة الصدود والإعراض.

موقف بلاغي في سورة الشعراء: (إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يدعو أباه وقومه) :

قال تعالى: (وَإِذْ عَلَّمْنَاهُمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ

(١) سورة الأنعام: ٧٤.

(٢) سورة مريم: ٤١: ٤٨.



مَالٌ وَلَا بُنُونَ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(١).

فهز الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الفطرة، ويخاطب العقل، ويستجيش المشاعر، في موقف ليس له نظير في سفر التكوين له أو لغيره من أنبياء الله ورسله.

موقف دعوي في سورة العنكبوت (إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وقومه) :

إن اختيار الباري جل وعلا لمواقف البلاغ والدعوة في القرآن الكريم يقوم على كمال العلم، وكمال الحكمة، فالقرآن العظيم مجمع أصول الهداية من آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وإلى محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ويبقى نورا وهدى وروحا ومُلهما للدعوة والدعاة إلى ما شاء الله، وهذا الموقف خاصة من أعظم مقامات البلاغ في القرآن العظيم، ويجب أن يظل منهجا وأصلا في الدعوة إلى الله تعالى.

قال تعالى (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تَكَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُوءُ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ^(٢)،

(١) سورة الشعراء: ٦٩: ٨٩.

(٢) سورة العنكبوت: ١٦: ٢٧.

ومن أهم المسائل التربوية في هذا الموقف البلاغي:

- ١- ربط بين الإيمان بالله وتوحيده، وبين مصالح الناس الدنيوية، وهو بُعد يغيب عن كثير من الدعاة، إذ يحصرّون الدعوة في البُعد الغيبي، وكمال الدعوة بالجمع بينهما.
 - ٢- تخفيف العبء عن كاهل الدعاة، فهم مسؤولون عن البلاغ، وليس عن إدراك النتائج.
 - ٣- استفزاز العقل للبحث عن كيف بدأ الله الخلق، ثم كيف يُنشئ النشأة الآخرة، وهو أمر غير ممكن إلا بالعلوم الحديثة.
 - ٤- المصالح الدنيوية هي التي تجمع بين العباد لغير الله، فإذا انقطعت تلك المصالح يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً.
- ويخلو سفر التكوين تماماً من مثل هذا المضمون الدعوي، والبلاغ المبين.

رابعا: مقام الولاء والبراء:

قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَاكَ وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ)^(١)، فالبراءة من الشرك وأهله، وإعلان الكفر بالطواغيت التي تُعبد من دون الله، وإعلان العداوة لفاقد العقائد والتصورات منهج الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وقومه، والأمة الإسلامية مخاطبة به في كتاب الله تعالى، وهذا البراء الثائر، والغضب الهادر، ينطفئ تماماً حين يؤمنوا بالله وحده،

(١) سورة الممتحنة: ٤: ٦.



فالعصب لله، والبغض للعقائد الفاسدة، وليس لذوات الأشخاص، إنه مقام المفاصلة بين الحق والباطل في العقائد والشرائع، أما في باب التعامل بين بني آدم؛ فإن دين الله تعالى يضع أرشد القواعد في التعايش بين أبناء آدم.



المطلب الثاني

مواطن الانفراد في السنة النبوية

من أهم المواطن الواردة في السنة المطهرة ما يلي:

أولاً: الحرص على الدعوة عبر حواجز الزمان والمكان:

في الوقت الذي تكاد تنعدم فيه مواقف الدعوة، وملامح النبوة والرسالة للخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في سفر التكوين، تبرز بوضوح المواقف الدعوية، وملامح النبوة والرسالة، ليس فقط في زمن الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، بل يتعدى شغفه، واضطباعه بواجبه الدعوي حواجز الزمان، والمكان، ففي السنن "عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْتَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَتَمَّهَا قَيْعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ"^(١).

أفيسوغ في عقل عاقل أن الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الذي ينصح لأمة ولده عبر حواجز الزمان والمكان، تعرى سيرته عن ملامح النبوة والرسالة، وشخصية الدعوة، كما هي في سفر التكوين؟!!

لقد ظلموا خليل الله، وبدلوا سيرته، وحصروها في عهود مزعومة مكذوبة، إذ لم يكن اليهود يوماً من الأيام، كعدد نجوم السماء، بل هم أقلُّ أُمَّمِ الأَرْضِ عدداً، وأذلُّها حالاً، حتى غرسهم الغرب شوكة -غريبة الدين واللغة والأصل- في ظهر العالم العربي والإسلامي.

كما ظلم العرب خليل الرحمن، وصوروه وهو يستقسم بالأزلام، فقد ذكر الحافظ ابن حجر عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: "دخلت مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مكة، وفي البيت أو حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، نُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ

(١) سنن الترمذي (الجامع الكبير) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَؤْرَةَ، أبواب الدعوات عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ٣٨٧/٥، حديث رقم ٣٤٦٢، تحقيق: بشار عواد معروف، دط، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٩٨ م.



- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأُكِّبَتْ لوجهها، ثم قال: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، ثم دخل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - البيت، فصلى فيه ركعتين، فرأى فيه تمثال إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وقد جعلوا في يد إبراهيم الأضلام، يستقسم بها، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: قاتلهم الله، ما كان إبراهيم يستقسم بالأضلام، ثم دعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بزعفران، فَلَطَّخَهُ بتلك التماثيل^(١).

ثانيا: المشابهة الخلقية للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

في الصحيح "عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَذَكَرُوا لَهُ الدَّجَالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ أَوْ كَافِرٌ قَالَ: لَمْ أَسْمَعُهُ وَلَكِنَّهُ قَالَ: أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَأَنْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ..."^(٢)، فإنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "كان أشبه الناس بإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -"^(٣)، ووردت في صحيح مسلم رواية شارحة للمعنى، قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ورأيت إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فإذا أقرب من رأيت به شهما صاحبكم^(٤)، ومعلوم أن ذكر صفات الأنبياء والمرسلين لمزيد المحبة والتعلق؛ إذ ليس في مقدور أحد أن يمنح نفسه التخلق بما حباهم الله تعالى، ومن جمع بين الاتباع ونعمة المشابهة في شيء من صفات النبوة، فذلك من سعادة الحال وعاجل البشرى، وقد كان الصحابة الأجلاء: مصعب بن عمير، وجعفر بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، والحسن بن علي يُشبهان برسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ثالثا: نفي شبهة الاستقسام بالأضلام:

ولعل هذا البحث يقوم بشيء في مقام الدفاع عن خليل الرحمن - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فيشير إلى ما جاء - تحريفا - في الكتب السابقة مما يتنافى في مقام النبوة والرسالة والخلة

(١) المطالب العالية بزوائد الثمانية، ٤٦٩/١٧، حديث رقم ٤٣٠٣، تحقيق: سعد الشثري، ط١، دار العاصمة: الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب حديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، حديث رقم ٣٣٥٥.

(٣) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الولوي، محمد بن علي بن آدم ٥٧٥/٤، ط١، دار ابن الجوزي: دم، ١٤٢٦هـ، ١٤٣٦هـ.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، حديث رقم ١٦٧.



لخليل الرحمن - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

ففي الصحيح "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَمَّا قَدِمَ، أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْأَلِهُةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأُخْرِجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، أَمَا وَاللَّهِ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ. فَدَخَلَ الْبَيْتَ، فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ" (١).
فدعا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أولئك "المشركين الذين صوروا صورة إبراهيم وإسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، ونسبوا إليهما الضرب بالقداح، وكانا بريئين من ذلك، وإنما هو شيء أحدثه الكفار الذين غيروا دين إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وأحدثوا أحداثاً" (٢).

و"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْبَيْتَ وَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَصُورَةَ مَرْيَمَ فَقَالَ: أَمَا لَهُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ" (٣)، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِزَعْفَرَانَ فَلَطَّخَهُ بِتِلْكَ التَّمَائِيلِ" (٤)، وفي رواية أنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال "قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط" (٥). وهو "إبعاد منه في حق إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لأنه معصوم منه" (٦).

رابعاً: أول من يكسى يوم القيامة:

في الصحيح "عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا ثُمَّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة، حديث رقم ١٦٠١.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد بن موسى، ٢٤٧/٩، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، حديث رقم ٣٢٢٢.

(٤) المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر، كتاب السير والمغازي، باب غزوة الفتح، حديث رقم ٥١٤٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً، حديث رقم ٣٣٥٢.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ٢٤٤/١٥.



قَرَأَ (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي
فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:
(وَكُنْتُ عَلِيمًا شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) إِلَى قَوْلِهِ (الْحَكِيمُ)^(١)، وفيه منقبة
ظاهرة له فضيلة عظيمة وخصوصية^(٢)، وهذا واضح في بيان مقامه - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وتمام
كماله، حيث يكسى قبل نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وقد حاول العلماء إيجاد تخرج يُقدمون
به نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الكسوة^(٣)، والنص الذي بين أيدينا حاكم، وواضح في
الدلالة، وأولية الكسوة لا تعني التقدم في الفضل على نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلقد صح
أن القابض على دينه آخر الزمان له أجر خمسين^(٤) من الصحابة، وهم بلا ريب أفضل
منه^(٥).

خامسا: رعاية خاطر الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

لقد مرر معنا من قبل الإشارة إلى دعوة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لأبيه، وحرصه عليه،
ولم يكف عن الاستغفار له إلا بعد استجداء الرحمة لأبيه، حتى مُنع من ربه (وَمَا كَانَ

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، حديث رقم ٣٣٤٩.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ١٥، ٢٤٢.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٣٨٤/١١.

(٤) "... لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. أَجْرُ
خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ...". سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، كتاب الملاحم، باب
الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٤١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط ١، دار الرسالة
العالمية: بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(٥) في حديث سعيد بن جبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - "... وَأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -،
يُكْسَى حَلَةَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُوتَى بِكَرْسِيِّ فَيُطْرَحُ لَهُ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُوْتَى بِي فَأَكْسَى حَلَةَ مِنَ الْجَنَّةِ،
لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ، ثُمَّ أُوتِيَ بِكَرْسِيِّ فَيُطْرَحُ لِي عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ"، ف"حلة نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعلى
وأكمل، فتجبر نفاستها ما فات من الأولوية" ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن
علي، ٢٧٦/٢، حديث رقم ٨٣٩، ط ١، مكتبة السوادني: جدة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م. فتح الباري لابن
حجر، ٣٨٥/١١.



اسْتَعْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ^(١).

بل يشفع لأبيه يوم القيامة ففي الصحيح عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِهِ أَرْزٌ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ فَيَقُولُ
لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبِّ
إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أُخْزِيَ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتِ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ
بِذِيخٍ^(٢) مُلْتَطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ^(٣).

فمن جميل لطف الله تعالى بالخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أن يمسح أباه ضبعاً يوم القيامة
"لتنفر نفس إبراهيم منه، ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على
إبراهيم"^(٤)، فأى رحمة، وأى رعاية، وأى لطف من الله تعالى بخليله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -!

سادساً: إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هو الأمين على الولدان الذين ماتوا على الفطرة:

فقد جاء في الصحيح "...فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرٍ
الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةَ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوَلَ
الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وُلْدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هُوَ لَاءٌ؟ قَالَ: قَالَ لِي: انطَلِقِ
انطَلِقِ... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَأَمَّا الْوُلْدَانُ
الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ..."^(٥)، وفي اختصاصه - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بصحبة
الذين ماتوا على الفطرة، مطابقة لحاله في الدنيا، حيث ظل أميناً على توحيد الله تعالى،

(١) سورة مريم: ٤١: ٤٨.

(٢) الذبيح: ذكر الضبع. الغريبين في القرآن والحديث، الهروي، أحمد بن محمد ٦٨٩/٢، تحقيق: أحمد
المزيدي، ط ١، مكتبة نزار مصطفى الباز: السعودية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، حديث رقم
٣٣٥.

(٤) فتح الباري لابن حجر، ٥٠٠/٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ٧٠٤٧.



دعا إليه، وناظر وحاور في سبيله، وأقام القواعد من بيت الله الحرام، ووالى وعادى عليه، فناسب أن يكون أميناً على هؤلاء.

ثامنا: الختان من شريعة الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

لقد ورد ذكر الختان في صورة العهد بين الله وبين إبراهيم ونسله، فالختان علامة في البدن، تميز نسلاً، ولم يُشفع بما يصوره شعيرة من شعائر الله تعالى، وإلى جانب هذا الجفاف التشريعي، فإن السنة تخبرنا أن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اختن وهو ابن ثمانين سنة، بينما يخبرنا العهد القديم أن ذلك حدث وهو ابن تسع وتسعين سنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: اخْتَنَّ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقُدُومِ ^(١).

و"اختلف الرواة في تخفيف دال القدوم وتشديدها، واختلفوا أيضاً في معناها. فالذي عليه أكثر الرواة التخفيف، ويعني به: آلة النَّجَّار، وهو قول أكثر أهل اللغة في آلة النجارة. ورواه بعضهم مشدداً. وفسره بعض اللغويين: بأنه موضع معروف بالشام" ^(٢)، ويؤكد أنه آلة النجار ما جاء في الحديث: "أمر إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فاختن بقُدُوم، فاشتد عليه، فأوحى الله تعالى إليه: عجلت قبل أن نامرك بآلته قال: يا رب كرهت أن أؤخر أمرك" ^(٣).

تاسعا: قتل الوزع نصرة لل خليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -:

هذا المعنى من أجل المعاني وأوضحها في موقع الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في طريق النبوة والرسالة، ومقامه في الخلق جميعاً، نبياً رسولاً، وإماماً مُتَّبِعاً، وكما نافح عن الدين

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً، حديث رقم ٣٣٥٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم ١٨٢/٦، تحقيق: محي الدين ميسو وآخرين، ط ١، دار ابن كثير: دمشق، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

(٣) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر، أحمد بن علي، ٢٤٧/٢، حديث رقم ٧٤، ط ١، دار العاصمة: الرياض، ١٤١٩هـ.



والتوحيد، وكان الدين منطلقه في الولاء والبراء؛ فإن رب العالمين يجعل سيرته ميزانا ومعيارا حتى في التعامل مع الحيوانات، ففي الصحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزْغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-^(١).

وليس المعنى أن هذه العقوبة لجنس الوزغ بسبب فعل واحد^(٢) من نوعها، بل لأنه "سام أبرص، ومن الحشرات المؤذيات"^(٣) و"خرجت عن خُلُقِ معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضرر والأذى"^(٤)، و"وفيها ضرر عظيم بالناس في طعامهم وشرابهم، علم ذلك بالتجربة"^(٥)، وإلى جانب هذه الطبيعة الخبيثة فإنه كان ينفخ النار على الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

وليس فيها ذم لذات الوزغ، فهو حيوان تحكمه الغريزة غير مختار، وإنما الذم للطبيعة والضرر، ومن أجلها يتعامل الإنسان معها بهذه الطريقة؛ دفعا لشرها وأذاه عنه، ومثل هذا كل ما ورد من وصف لبعض الحيوانات بالفواسق أو غير ذلك.

وموطن الشاهد هنا، تعليل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لقتلها بسبب عداوتها لل خليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وفي إشارة إلى أن جانب الخليل هو جانب الحق، ومعاداته معادة للحق، وإذا كان من يرغب عن ملته فقد حقر نفسه، فكيف بمن يُعاديه!؟

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلا، حديث رقم ٣٣٥٩.

(٢) يُنظر: الكوكب الدرّي على جامع الترمذي، الكنكوهي، ٣٩٠/٢، تحقيق: محمد الكاندهلوي، دط، مطبعة ندوة العلماء: الهند، ١٣٩٥هـ.

(٣) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف، ٢٣٦/١٤، ٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

(٤) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، للولوي ٥١٤/٣٦.

(٥) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله، ١٩٧/٧، تحقيق: تقي الدين الندوي، ط١، دار النوادر: دمشق، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.



عاشرا: الدعاء بما دعا به الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - :

يظهر هذا الملمح في طلب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن تكون المدينة حرما بدعائه، كما كانت مكة حرما بدعاء إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاؤُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ، وَخَلِيلُكَ، وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ، وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ" (١)، فالله تعالى "بارك مكة والمدينة بدعاء خليليه إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام" (٢)، والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأتي بجده و خليل الرحمن -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في الدعاء بتحريم المدينة وتفضيلها على غرار ما جعل مكة المكرمة.

٢- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكَمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ" (٣)، فعلى خطى الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، يُعوذ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الحسن والحسن بما كان -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يعوذ به إسماعيل وإسحاق.

حادي عشر: الجمع بين الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وبين رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

في الصحيح أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" (٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها بالبركة، حديث رقم ١٣٧٣.

(٢) فقه الإسلام شرح بلوغ المرام، عبد القادر شيبه الحمد، ٤/ ٨٧، ط١، مطابع الرشيد: المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

(٣) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، حديث رقم ٣٢٤٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب هل يصلي على غير النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حديث رقم ٦٣٦٠.

ولم يرد مثل ذلك لأحد من أنبياء الله تعالى ورسله، على شريف مقامهم أجمعين من رب العالمين، إلا أن خصوصية ودوام الجمع بين نبي وبين إمام المرسلين - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شعيرة؛ لم ترد إلا للخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

ومن خلال هذا التتبع لذكر الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في القرآن العظيم والسنة النبوية؛ تظهر ملامح نبوته وإمامته، وليس في شيء منها اهتمام برصيده من الذهب والفضة والمواشي، وإنما الاهتمام برصيده الدعوي، وميراثه الحقيقي، والذي هو ميراث الأنبياء والمرسلين، فإنهم لم يُورثوا ديناراً ولا درهما^(١)، وإنما ورثوا العلم، وأشرفه العلم بالله رب العالمين، والدلالة على ما يرضيه، ويقيم الحياة الدنيا على منهاجه، سبحانه وتعالى.



(١) في المسند من حديث قيس بن كثير، قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك أي أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا. قال: ما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" مسند أحمد، حديث رقم ٢١٧١٥، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، ٤٦/٣٦،



الخاتمة

من خلال تلك الدراسة يتبين للقارئ وجهة الصورة النبوية والدعوية للخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في القرآن الكريم والسنة النبوية، مقارنة بنظيرتها في سفر التكوين، حيث يظهر في سفر التكوين مباركا أينما ذهب في جمع المال والثروات، بينما تكاد تغيب ملاحم النبوة والرسالة عنه، وما ذكر منها كان ضعيفا لا يرقى إلى مقام النبوة والرسالة، ولا يُعبر عن حقيقة النبي والرسول، ومقامه عند الله، ومقامه ووظيفته بين الناس.

أهم النتائج:

١- ظهور الخليل في أحداث العهد القديم ظهور عادي، بينما يظهر في القرآن الكريم ظهورا نبويا مشرقا، يُتم كلمات الله تعالى، ويبني بيت الله تعالى بمعونة إسماعيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ويدعو ربه دعاء يظهر قمة التجرد وكمال العبودية لله تعالى، ويظهر ناقلا عهد التوحيد والعمل بمقتضاه لذريته من بعده.

٢- عهد الله لإبراهيم حسب الكتاب المقدس وعدُّ بأرض، لم تتحقق لهم على طول التاريخ إلا فترة قصيرة سلبا من أهلها، وغدرا من القوى الكبرى، ووعد بذرية عدد نجوم السماء، لم تكن أبدا بهذا العدد في أي من أدوار التاريخ، وأما عهد القرآن الكريم فعهد التوحيد والدعوة، والتمكين في الأرض لمن يحمل المؤهلات، وفقا لسنن الله التي لا تتخلف.

٣- قصة نزول إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حسب سفر التكوين تعريض بنبي الله - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وتشويه لصورته، وكأنه يُتاجر بجمال زوجته، وأما في السنة النبوية تمثل ما يتصوره العقل، ويُصوّره الشرع لأنبياء الله ورسله من التصرف الحكيم الواعي، مع كمال التعلق والضراعة إلى الله المنجي من السوء وأهله.

٤- الجفاف الدعوي وغياب ملاحم النبوة والرسالة واضح أشد الوضوح في سفر التكوين، بينما تبرز ملاحم النبوة والرسالة، وشخصية الدعوة في كل موطن ذكر فيها الخليل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، بل يظهر أمة وحده، وقدوة للإنسانية.



أهم التوصيات:

- ١- أفراد المواقف الدعوية للخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بدراسات متأنية، يتم من خلالها استنتاج السمات الواجب توافرها في الداعية، وأساليب الدعوة، ووسائلها، ومناهجها، وشخصية الداعية.
- ٢- أفراد مناظرات الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع النمرود وعباد الكواكب وأبيه وقومه، ومقارنتها بأحدث ما وُضع في فنون الجدل والمناظرة، ففيه خدمة للدعوة، وإبراز لكمال من كمالات النبوة.
- ٣- عقد المقارنات بين العهد القديم والقرآن الكريم؛ لإبراز أوجه الشبه - وهي كثيرة جدا- وما يمكن أن ينبنى عليها من مدّ جسور التعاون البصير. وإبراز أوجه الفرق الناتجة عن التحريف، نصرة لوحي الله تعالى، ودعوة إلى الله تعالى، وإبرازا لتصديق القرآن الكريم لما بين يديه، وهيمنته.
- ٤- القيام بدراسة حول ظاهرة كلام الله تعالى في الكتاب المقدس.





أهم المصادر والمراجع

- ١- إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية، اللواء أحمد عبد الوهاب، ط٣، دت، مكتبة وهبة: القاهرة، دت.
- ٢- إعراب القرآن، النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٣- الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨١م.
- ٤- البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- ٥- تاريخ اليهود، أحمد عثمان، دط، مكتبة الشروق: القاهرة، دت.
- ٦- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.
- ٧- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن الطاهر بن عاشور، دط، الدار التونسية: تونس، ١٩٨٤م.
- ٨- تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد الفران، ط١، دار التدمرية: السعودية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- ٩- تفسير التستري، سهل بن عبد الله بن يونس، جمع: محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ١٠- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، بروس بارتون وآخرون، دط، شركة ماستر ميديا: المعادي مصر، دت.
- ١١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة: السعودية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ١٢- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م.



- ١٣- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر، تحقيق: محمد أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة: مصر، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
- ١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، دار هجر: القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
- ١٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: علي ناصر وآخرين، ط٢، دار العاصمة: الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- ١٦- دائرة المعارف الكتابية، صموئيل حبيب وآخرون، دط، دار الثقافة: القاهرة، دت.
- ١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبد الله، تحقيق: علي عطية، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ.
- ١٨- سنن الترمذي (الجامع الكبير) الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة، تحقيق: بشار عواد معروف، دط، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٩- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: ياسر إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
- ٢٠- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير، ط١، دار المأثر: المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٢١- الصلاح والفساد، أبو الأعلى المودودي، ترجمة: خليل الحامدي، ط١، لاهور للطباعة: باكستان، ١٩٧٦م.
- ٢٢- العهد القديم وعالمه وتحدياته، ط١، دار منهل الحياة: لبنان، ٢٠١٤.
- ٢٣- الغربيين في القرآن والحديث، الهروي، أحمد بن محمد، تحقيق: أحمد المزيدي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز: السعودية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- ٢٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، دط، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٢٥- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة، ص٩، ط١٠، دار الثقافة: القاهرة، ١٩٩٥م.
- ٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ.



- ٢٧- لطائف الإشارات، القشيري، عبد الكريم بن هوازن، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، دت.
- ٢٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٢٩- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- ٣٠- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، دط، دار المنار: القاهرة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- ٣١- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب: بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ٣٢- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- ٣٣- مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- ٣٤- المطالب العالية بزوائد الثمانية، ابن حجر، أحمد بن محمد بن علي، تحقيق: سعد الشثري، ط١، دار العاصمة: الرياض، ١٤١٩هـ.
- ٣٥- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ٣٦- معاني القرآن، الأخفش، سعيد بن مسعدة، تحقيق: هدى قراعة، ط١، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- ٣٧- معاني القرآن، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط١، عالم الكتب: بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ٣٨- معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، تحقيق: أحمد نجاتي وآخرين، ط١، دار المصرية: القاهرة، دت.
- ٣٩- معجم البلدان، الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، ط٢، دار صادر: بيروت، ١٩٩٥م.
- ٤٠- مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.



- ٤١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، يحيى بن شرف، ط٢، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢ هـ.
- ٤٢- الموسوعة العربية العالمية،، ط٢، مؤسسة أعمال الموسوعة: الرياض، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
- ٤٣- النحو الوافي، عباس حسن، ط١٥، دار المعارف: القاهرة، دت.
- ٤٤- النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن محمد، تحقيق: السيد عبد المقصود، دط، دار الكتب العلمية: بيروت، دت.
- ٤٥- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، تحقيق: صفوان داوودي، ط١، دار القلم: دمشق، الدار الشامية: بيروت، ١٤١٥ هـ.





Most important sources and references

- 1- Israel Harafat Al-Anajil Wa Ekhtara'at Ostora Samia, Major General Ahmed Abdel Wahhab, 3rd edition, p, Wahba Library: Cairo, d.
- 2- E'rab Al-Qur'an, Al-Nahas, Ahmed Bin Muhammad Bin Ismail, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1421 AH.
- 3- Al-Eklil Fi Estinbat Al-Tanzel, Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, editing: Seif Al-Din Al-Katib, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1981 AD.
- 4- Al-Bedaya Wa Al-Nehaya, Ibn Katheer, Ismail bin Omar bin Katheer, editing: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, 1st edition, Dar Hajar: Cairo, 1418 AH, 1997 AD.
- 5- Tariekh Al-Yahoud, Ahmed Othman, d., Al-Shorouk Library: Cairo, d.
- 6- Taawel Moshkel Al-Qur'an, Ibn Qutayba, Abdullah bin Muslim, editing: Ibrahim Shams al-Din, P., Dar al-Kutub al-Ilmiyya: Beirut, ed.
- 7- Al-Tahrir Wa Al-Tanwir (Tahrir Al-Ma'na Al-Sadid Wa Tanwir Al-'Aql Al-Jaded Min Tafser Al-Kitab Al-Majed), Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad bin Al-Taher bin Ashour, P, Dar Al-Tunisia: Tunis, 1984 AD.
- 8- Tafser Al-Imam Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris bin Al-Abbas, collection, editing and study: Ahmed Al-Fran, 1st edition, Dar Al-Tadmuriya: Saudi Arabia, 1427 AH, 2006 AD.
- 9- Tafser Al-Tastari, Sahel bin Abdullah bin Younes, collected by: Muhammad Al-Baladi, editing: Muhammad Basil Oyouun Al-Soud, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1423 AH.
- 10- Al-Tafser Al-Tatbiqi Lil-Kitab Al-Moqadas, Bruce Barton et al., D., Master Media Company: Maadi Egypt, Dt.
- 11- Tafser Al-Qur'an Al-'Azem, Ibn Katheer, Ismail bin Omar bin Katheer, editing: Sami Salama, 2nd edition, Dar Taiba: Saudi



- Arabia, 1420 AH, 1999 AD.
- 12- Tafser Al-Manar (Tafser Al-Qur'an Al-Karem), Muhammad Rashid bin Ali Reda, The Egyptian General Book Organization: Cairo, 1990 AD.
 - 13- Tafser Mujahid, Mujahid bin Jabr, editing: Muhammad Abu Al-Nile, P 1, Dar Al-Fikr Al-Modernah Al-Islamiah: Egypt, 1410 AH, 1989 AD.
 - 14- Jami' Al-Bayan 'An Taawel Ayat Al-Qur'an, al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid, editing: Abdullah al-Turki, 1st edition, Dar Hajar: Cairo, 1422 AH, 2001 AD.
 - 15- Al-Jawab Al-Sahih Liman Badal Den Al-Maseh, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, editing: Ali Nasser and others, 2nd edition, Dar Al-Assimah: Riyadh, 1419 AH, 1999 AD.
 - 16- Daairat Al-Ma'arif Al-Kitabya, Samuel Habib and others, D., Dar Al-Thaqafa: Cairo, Dt.
 - 17- Roh Al-Ma'ani Fi Tafser Al-Qur'an Al-'Azem Wa Al-Saba' Al-Mathani, Al-Alusi, Mahmoud bin Abdullah, editing: Ali Attia, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1415 AH.
 - 18- Sunan Al-Tirmithi (Al-Jami' Al-Kaber) al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa bin Surah, editing: Bashar Awad Maarouf, D., Dar al-Gharb al-Islami: Beirut, 1998 AD.
 - 19- Sharh Sahih Al-Bukhari, Ibn Battal, Ali bin Khalaf bin Abdul-Malik, editing: Yasser Ibrahim, 2nd edition, Al-Rushd Library: Riyadh, 1423 AH, 2003 AD.
 - 20- Al-Sahih Al-Masbur Min Al-Tafser Bil-Maathur, Hikmat Bashir, 1st Edition, Dar Al-Maather: Al-Madinah Al-Munawwarah, 1420 AH, 1999 AD.
 - 21- Al-Salah Wa Al-Fasad, Abu Al-Ala Al-Mawdudi, translated by: Khalil Al-Hamidi, 1st edition, Lahore for printing: Pakistan, 1976 AD.



- 22- Al-'Ahd Al-Qadem wa 'Alamuh Wa Tahadiatuh, 1st Edition, Dar Manhal Al-Hayat: Lebanon, 2014.
- 23- Al-Gharibien Fi Al-Qur'an Wa Al-Hadith, Al-Harawi, Ahmed bin Muhammad, editing: Ahmed Al-Mazeedi, 1st edition, Nizar Mustafa Al-Baz Library: Saudi Arabia, 1419 AH, 1999 AD.
- 24- Fath Al-Bari Bi-Sharh Sahih Al-Bukhari, Ibn Hajar, Ahmed bin Ali bin Hajar, editing: Muhammad Fouad Abdul-Baqi, Muhib Al-Din Al-Khatib, Abdul-Aziz bin Baz, Dar Al-Maarifa: Beirut, 1379 AH.
- 25- Qamous Al-Kitab Al-Moqadas, Nukhbah Min Al-Asatitha, p. 9, i10, Dar Al-Thaqafa: Cairo, 1995 AD.
- 26- Al-Kashf 'An Haqaiq Ghawamid Al-Tanzel, Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr bin Ahmed, 3rd edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi: Beirut, 1407 AH.
- 27- Latif Al-Esharat, Al-Qushayri, Abd al-Karim ibn Hawazen, editing: Ibrahim al-Basiouni, 3rd edition, the Egyptian General Book Organization: Cairo, d.
- 28- Al-Moharir Al-Wajez Fi Tafser Al-Kitab Al-'Aziz, Ibn Attia, Abdul Haq bin Ghalib bin Abdul Rahman, editing: Abdul Salam Abdul Shafi, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1422 AH.
- 29- Al-Mohkam Wa Al-Mohet Al-A'zam, Ibn Saydah, Ali bin Ismail, editing: Abdul Hamid Hindawi, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1421 AH, 2000 AD.
- 30- Muhammad Fi Al-Torah Wa Al-enjil Wa Al-Qur'an, Dar Al-Manar: Cairo, 1409 AH, 1989 AD.
- 31- Al-Mohet Fi Al-Lughah, Ismail bin Abbad bin Al-Abbas, editing: Muhammad Hassan Al-Yassin, I 1, Alam Al-Kutub: Beirut, 1414 AH, 1994 AD.
- 32- Al-Mustadrak 'Ala Al-Sahihain, Al-Hakim, Muhammad bin



- Abdullah bin Muhammad, editing: Mustafa Atta, I 1, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, 1411 AH, 1990 AD.
- 33- Musnad Ahmad, Ahmed bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal, editing: Shuaib Al-Arnaout and others, 1, edition, Al-Resala Foundation: Beirut, 1421 AH, 2001 AD.
- 34- Al-Matalib Al-'Alia bi-Zawaaid Al-Thamaniya, Ibn Hajar, Ahmed bin Muhammad bin Ali, editing: Saad Al-Shathri, 1st Edition, Dar Al-Assimah: Riyadh, 1419 AH.
- 35- Ma'ani Al-Qur'an Wa E'rabuh, Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sirri bin Sahl, editing: Abdul Jalil Shalabi, 1st Edition, World of Books: Beirut, 1408 AH, 1988 AD.
- 36- Ma'ani Al-Qur'an, Al-Akhfash, Saeed bin Masada, editing: Huda Qar'a, 1st Edition, Al-Khanji Library: Cairo, 1411 AH, 1990 AD.
- 37- Ma'ani Al-Qur'an, Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sari bin Sahel, editing: Abdul Jalil Shalabi, 1st Edition, Alam Al-Kutub: Beirut, 1408 AH, 1988 AD.
- 38- Ma'ani Al-Qur'an, Al-Fara', Yahya Bin Ziyad Bin Abdullah, editing: Ahmed Najati and others, 1st edition, Dar Al Masrya: Cairo, d.
- 39- Mo'jam Al-Buldan, Al-Hamawi, Yaqout bin Abdullah Al-Roumi, 2nd Edition, Dar Sader: Beirut, 1995 AD.
- 40- Maqaies Al-Lughah, Ibn Faris, Ahmed bin Faris, editing: Abd al-Salam Haroun, D., Dar al-Fikr: Beirut, 1399 AH, 1979 AD.
- 41- Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim Bin Al-Hajjaj, Al-Nawawi, Yahya Bin Sharaf, 2nd Edition, Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi: Beirut, 1392 AH.
- 42- Al-Mawso'a Al-Arabia Al-'Alamyah, 2nd Edition, Encyclopedia Business Foundation: Riyadh, 1419 AH, 1999 AD.
- 43- Al-Nahw Al-Wafi, Abbas Hassan, 15th edition, Dar Al Maaref: Cairo, ed.



- 44- Al-Nukat Wa Al-'Oyoun, Al-Mawardi, Ali bin Muhammad bin Muhammad, editing: Mr. Abdel-Maqsoud, D., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya: Beirut, ed.
- 45-Al-Wajeez fi Tafser Al-Kitab Al-'Aziz, Al-Wahidi, Ali bin Ahmed bin Muhammad, editing: Safwan Daoudi, 1st Edition, Dar Al-Qalam: Damascus, Al-Dar Al-Shamiya: Beirut, 1415 AH.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١١٩٥	المقدمة.....
١٢٠١	المبحث الأول: ظهور الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وعهد الله له بين سفر التكوين والقرآن الكريم.....
١٢٠١	المطلب الأول: ظهور الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في أحداث سفر التكوين والقرآن الكريم.....
١٢٠٥	المطلب الثاني: وعد الله لإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بين سفر التكوين والقرآن الكريم.....
١٢١٢	المبحث الثاني: نزول إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرض مصر بين سفر التكوين والسنة النبوية.....
١٢١٢	المطلب الأول: قصة نزول إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرض مصر في سفر التكوين.....
١٢١٥	المطلب الثاني: قصة نزول مصر في السنة.....
١٢١٨	المطلب الثالث: سارة وأبرام وأبيمالك.....
١٢٢١	المطلب الرابع: جذب البعد الديني في الرواية التوراتية لقصة الخليل -.....
١٢٢٥	المبحث الثالث: أهم ما انفرد به سفر التكوين عن القرآن الكريم.....
١٢٢٥	المطلب الأول: حرب الملوك وأسر لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.....
١٢٢٧	المطلب الثاني: الشكر على نعمة النصر بين سفر التكوين والسنة النبوية:.....
١٢٣٠	المبحث الرابع: وعد الله تعالى لأبرام بالذرية.....
١٢٣٠	المطلب الأول: أدب الطلب بين سفر التكوين والقرآن الكريم.....
١٢٣٢	المطلب الثاني: علامة الوعد الإلهي بالذرية (الطيور الأربعة).....
١٢٣٥	المطلب الثالث: تحول أبرام إلى إبراهيم وحصر العهد في ذرية إبراهيم من سارة.....
١٢٤١	المبحث الخامس: نزول الله والملائكة عند إهلاك قري قوم لوط.....
١٢٤١	المطلب الأول: قصة النزول بين سفر التكوين والقرآن الكريم.....
١٢٤٣	المطلب الثاني: شفاعاة إبراهيم S- في قوم لوط.....
١٢٤٦	المطلب الثالث: إسكان هاجر وإسماعيل عليهما السلام بربة فاران.....
١٢٥٢	المبحث السادس: قصة الذبيح بين سفر التكوين والقرآن الكريم.....
	المبحث السابع: أهم ما انفردت به نبوة الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في القرآن الكريم والسنة النبوية.....
١٢٥٦	المطلب الأول: مواطن الانفراد في القرآن العظيم.....



١٢٦٤	المطلب الثاني: مواطن الانفراد في السنة النبوية.....
١٢٧٣	الخاتمة.....
١٢٧٥	أهم المصادر والمراجع.....
١٢٨٤	فهرس الموضوعات.....